جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بإيتاي البارود
المجلة العلمية

# خَوارَزْمات نقدية
## (جدلُ الحداثةِ والهُوية)

إعداد

**د/ محمود شحاته محمد سرحان**

مدرس الأدب والنقد في كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بدسوق

( العدد السادس والثلاثون )
( الإصدار الرابع .. نوفمبر )
( ١٤٤٥هـ - ٢٠٢٣م )

علمية - محكمة - ربع سنوية
الترقيم الدولي: ISSN 2535-177X

# خَوارَزْمات نقدية (جدلُ الحداثةِ والهُوية).

**محمود شحاته محمد سرحان**

**قسم الأدب والنقد، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بدسوق، جامعة الأزهر، مصر.**

**البريد الإلكتروني: mahmoudsarhan384.el@azhar.edu.eg**

**الملخص:**

يهدفُ البحث إلى دراسة علاقة الأمة العربية بمناهج النقد الحداثية وما بعدها، في إطار التشابك مع قضيتي الهُوية الذاتية والخُصوصية التراثية. وذلك من خلال خُطة بحثية تعتمد نسق الخَوارَزْمات المُتوالية؛ حيث تُناقش الخَوارَزمية الأولى مدى الحاجة إلى التثاقف مع مناهج النقد العالمية، بينما تتعرض الخَوارَزمية الثانية لِمُعْضلَة التبعية النقدية للغرب في ظلِ دعوات المُفاصلة الفكرية، وتختص الخَوارَزمية الثالثة بالبحث في الأسباب التي حالت بيننا وبين التلقي الصحيح لهذه المناهج الحداثية وما بعدها. وقد اعتمد الباحث في دراسته على المنهج التحليلي لجدارته في مُقاربة القضايا الشائكة، وقدرته على تتبع جزئياتها بالنقد والتقويم، وانتهى البحث إلى عدة نتائج؛ يتمحور أهمها حول تأكيد المُساهمة الفاعلة للأمة العربية في إنتاج مناهج النقد الحداثية وما بعدها، عن طريق رفْدها بعددٍ كبيرٍ من النقَّاد والمُنظرين الحداثيين بطريقٍ مباشر أو غير مباشر، الأمر الذي يجعل استفادتنا من هذه المناهج الغربية/العالمية في تطوير فكرنا النقدي أخذًا لجزءٍ صغيرٍ من حقوقِنا، لا مِنَّةَ لأحدٍ علينا فيه. كما خلص البحث إلى صياغة عددٍ من التوصيات والمُقترحات التي يُمكن من خلالها رتق الفجوة المعرفية النقدية بيننا وبين أمم الغرب في أقل مُدةٍ ممكنة، بأفضل النتائج المُتحصِّلة.

**الكلمات المُفتاحية:** خوارزمات، تراث، هوية، مناهج النقد، الحداثة، ما بعد الحداثة.

# Critical algorithms (the dialectics of modernity and identity).

**Mahmoud Shehata Muhammad Sarhan**
**Department of Literature and Criticism, College of Islamic and Arab Studies for Boys in Desouq, Al-Azhar University, Egypt.**
**Email: mahmoudsarhan384.el@azhar.edu.eg**

**Abstract:**

It aims to research the relationship of the Arab nation with modernist and postmodernist approaches to criticism, within the framework of interaction with the issue of identity and the personal specificity of heritage. This is done through an unconventional research plan that relies on a system of sequential algorithms. The first algorithm discusses the need for acculturation with global critical approaches, while the second algorithm remains partial to the confirmed dependency on the West in light of copyright calls, and the third algorithm concerns research in New York, which prevented us from receiving the right to these modernist approaches. I have researched a lot of analytical controversy, due to its suitability in studying issues related to contradiction and diversity in multiple cognitive aspects, The research concluded with several results, the most important of which revolves around confirming the effective contribution of the Arab nation in producing modernist and post-modernist critical approaches, by providing them with a large number of modernist critics and theorists, directly or indirectly, which makes us benefit from these Western approaches in developing our critical thought. Taking a small part of our rights, no one has any favors over us. The research also concluded by formulating a number of recommendations and proposals through which the critical knowledge gap between us and the other (Western) can be bridged in the shortest possible time, with the best results obtained.

**Keywords**: Algorithms, Heritage, Identity, Criticism methods, Modernity, Postmodernism.

## خَوارَزْمات نقدية: جدلُ الحداثةِ والهُوية

**توطئة:**

تدور منذ عقودٍ حالة من الجدل الذي لا ينتهي حول قضيتي الحداثة والهُوية، وكيفية النجاة من غُلْوَاء ذلك الصراع القائم في نفوسنا بين ماضٍ عريقٍ نعتز به، وحاضرٍ غائمٍ قد يضطرنا أحيانًا إلى توسل ما عند الآخر من أفكار ومعارف وعلوم!. وفي ظل العديد من الدراسات التي خاضت هذا الخضم من قبل[١]، حاول الباحث أن يجعل جهده في هذا الصدد نسخة غير مكرورة، فانتهج طريقة عرضٍ تتسم بالجدة –رغم كونها مستمدة من التراث– هي الطريقة (الخَوارَزمية)[٢] –التي تُنسب إلى عالِم الفلك والرياضيات (محمد بن موسى الخَوارَزمي)[٣] (ت: ٢٣٢ هـ)– وتُعرَّف بأنها: "مجموعة من الخطوات المُتسلسلة –الرياضية والمنطقية– التي تتصف بالانضباط والوضوح، والتي تؤدي إلى حل

(١) من بينها على سبيل المثال: التراث والتجديد، حسن حنفي، المؤسسة الجامعية، بيروت، ط٤، ١٩٩٢م. **و:** الثابت والمتحول، أدونيس، دار الساقي، بيروت، ط٧، ١٩٩٤م. **و:** المرايا المُحدَّبة (من البنيوية إلى التفكيك)، عبدالعزيز حمودة، سلسلة عالم المعرفة (٢٣٢)، المجلس الوطني للثقافة، الكويت، ط١، ١٩٩٨م. **و:** روح الحداثة، طه عبدالرحمن، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط١، ٢٠٠٦م. **و:** التراث والتجديد، أحمد الطيب، سلسلة كتب الثقافة الإسلامية رقم (١)، مشيخة الأزهر الشريف، القاهرة، ط٣، ٢٠١٩م.

(٢) للدقَّة في ضبط اللفظ، يُنظر: مفاتِحُ الجَزْم في مُشكِلاتِ لَفظِ "خَوارَزْم"، صفاء البياتي، معهد المخطوطات العربية، السلسلة الرقمية الثقافية (٣٣)، رابط: www.malecso.org. (د.ت)

(٣) لترجمته يُنظر: الفهرست، ابن النديم، تح: أيمن فؤاد، ص٢٣٥–٢٣٦، مج:٢، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، ٢٠٠٩م.

مسألةٍ ما"[١]. وعلى أكتاف هذه الطريقة التراثية قامت تكنولوجيا الذكاء الاصطناعي في العصر الحديث[٢].

وقد بُنى هذا البحث الموسوم بـ "خَوارَزْمات نقدية: جدلُ الحداثةِ والهُوية"، على توظيف هذه الطريقة العلمية، من خلال المنهج التحليلي، الأكثر تناسبًا مع فكرة الخَوارَزمات المُتوالية، والأقدر على نقد وتتبع وتجميع مختلف الخيوط المُتصلة بالقضية محور البحث، في إطار عرض موضوعي يترسم خُطى الشروط الأربعة الأساسية –التي توافقت عليها المنهجيتان البحثيتان العربية والغربية– التي باتباعها يمكن وصف أي إجراء بأنه خوارزمية، وهي: "**المحدودية:** لابد للخوارزمية من نهاية، بمعنى أنها تتوقف بعد عددٍ محددٍ من الخطوات. **الوضوح الشديد:** لابد من تحديد كل خطوة في الخوارزمية تحديدًا دقيقًا لا لَبس فيه. **الفاعلية:** كل عملية تُنفذ كجزءٍ من الخوارزمية يجب أن تكون بسيطة لدرجة تُمَكِّن الإنسان من تنفيذها بالضبط، باستخدام ورقة وقلم على سبيل المثال. **توافر المُدخلات والمُخرجات:** يجب أن تتضمن الخَوارَزمية مُدخلًا أو أكثر، وكذلك مُخرجًا أو أكثر"[٣].

وقد طبَّق الباحث الشرط الأول –**المحدودية**– حين بنى بحثه على ثلاث خوارزمات فحسب، تعتمد كل واحدة منهن على مُدخلٍ مُحددٍ، يُشكِّل جزءًا من المُتوالية الرئيسة كما يلي:

---

(١) أساسيات الحاسب الآلي والبرمجة، جميل أحمد، ص٢٤١، منصة الطباعة الرقمية: Lulu.com، الولايات المتحدة، ٢٠١٨م.

(٢) يُنظر: الخوارزميات، بانوس لوريداس، تر: إبراهيم سند، ص١٩، مؤسسة هنداوي، القاهرة، ٢٠٢٢م.

(٣) علم الكمبيوتر، سوبراتا داسجوبتا، تر: إبراهيم سند، ص٤٥–٤٦، مؤسسة هنداوي، القاهرة، ٢٠٢٣م.

**الخوَارَزمية الأولى:** لماذا يتوجب علينا الإحاطة بمناهج النقد الغربية؟، ألا يمكن أن ننعم بحياةٍ هادئةٍ في غيابها، مُكتفين بإحياء تراثنا، واعتماده أساسًا وحيدًا في تذوق الشعر ونقده؟.

**الخوَارَزمية الثانية:** أليس قَبولنا لهذه المناهج الغربية معناه أننا سنكون تابعين لِمُنتجيها، مُنهزمين أمامهم فكريًا وثقافيًا؟.

**الخوَارَزمية الثالثة:** لماذا نستشعر الصعوبة والتعقيد في محتوى هذه المناهج؟، وهل من سبيل لهضمها واستيعابها من خلال منهجٍ علمي موضوعي؟.

وجهد الباحث في تطبيق الشرط الثاني –**الوضوح الشديد**– من خلال تقديم إجابات لهذه الأسئلة الثلاثة في صورة لا تعمية فيها، مُدعَّمة بالأدلة والشواهد، بواسطة عرضٍ يُعلي من شأن العقل والفكر المنطقيين، ويبتغي تحقيق شرط **الفاعلية** على الوجه الأكمل. وفي سبيل تحقيق الشرط الرابع –**توافر المُدخلات والمُخرجات**– جاء اختيار الباحث لأسئلته الثلاثة الرئيسة لتمثِّل المُدخلات التي يقوم البحث على أكتافها، بينما تُمثل إجابات هذه الأسئلة، والمُقترحات التي تم الانتهاء إليها، المُخرجات التي رُوعي فيها قابليتها للتطبيق.

وإذا كان الباحث قد بذل قصارى جهده لتحقيق الشروط الأربعة الأساسية المطلوبة منه، فإنه ينتظر من القارئ أن يتفضل بقراءة هذه الخوارزمات الثلاث قراءة مُتتابعة، لأنها مبنية بعضها على بعض، واقتطاف نماذج منها قد يؤدي للخروج بحكم يُناقض الفكرة الأساسية.

والله من وراء القصد، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

**الخوَارَزمية الأولى لماذا يتوجب علينا الإحاطة بمناهج النقد الغربية؟، ألا يمكن أن ننعم بحياةٍ هادئةٍ في غيابها، مُكتفين بإحياء تراثنا، واعتماده أساسًا وحيدًا في تذوق الشعر ونقده؟**

من المُسلَّمات المُتفق عليها أن التواصل بين المخلوقين سُنَّة وضعها الله في الكون لضمان استمرار عمارته، وعلى قدر ما يكون في هذا التواصل من تحققِ بعض الضرر، وتمرير بعض السلبيات والعادات التي قد تعافها الفطر السليمة، إلا أنه يبقى الرئة التي تمد المجتمعات الإنسانية بالهواء اللازم لضمان حيويتها وبقائها، وكل محاولة لوقف هذا التواصل مُعاندة للواقع، وتجريبٌ ضد المُحال، خصوصًا في عصرنا الحالي –عصر العولمة ووسائل التواصل الاجتماعي– الذي تلعب فيه الأفكار دور الوقود الذي يُغذِّي عملية التواصل بيننا وبين الآخر، ويُمدها بالزخم الذي يُبقيها مُتَقِدَة على كافة الأصعدة.

ويقتضي هذا الظرف التاريخي ردَّة فعل تتبرأ من التقوقع والانعزالية، وتنحو منحى إيجابيًا في التعامل مع مختلف هذه الطاقات الفكرية العالمية، عن طريق تحليل عناصرها ومكوناتها، مع التركيز –بشكلٍ خاص– على الجانب الأخطر منها، جانب الفنون والآداب الذي يلعب دورًا حيويًا في قيادة البشرية وتوجيهها، وكل من له أدنى إحاطة بمناهج النقد الغربية الحداثية وما بعدها، وبما انطوت عليه من أفكار فلسفية، ونظريات أدبية، وبما تمخَّض عنها من اتجاهات وألوان نقدية، وتيارات ومذاهب ومدارس أدبية وفكرية وفلسفية، يمكنه إدراك أن هذه المناهج لم يعُد يُنظر إليها على أنها أداةٍ مُساعدةٍ في قراءة النصوص الأدبية فحسب، وإنما بوصفها الوسيط الحيوي الذي يدفع بالأفكار الجديدة إلى سطح الحياة، ويعمل على تهيئة الأذواق لتقَبُّلِها، فهي إذن المُوجِّه الحقيقي للعصرِ الحالي علنًا أو من وراءِ ستار!. وإذا غفلنا عن هذه الرؤية التي توصِّف حقيقة هذه المناهج وتلك النظريات، فنحن على شفا خطر ثقافي وفكري مُحيق.

وإذا كانت الأفكار النقدية الغربية الحداثية وما بعدها–المُتبلورة على هيئة نظريةٍ أو منهجٍ– على هذا القدر من الأهمية والخطورة، فلا مناص أمامنا عن معرفتها معرفة جيدة، حتى يتسنى لنا الوقوف على ما فيها من فائدة والانتباه إلى ما تحمله من أخطار، سيما ونحن نمتلك إمكانية أخذ الأدوات الإجرائية والأجهزة المفاهيمية لهذه المناهج، مع انتخال واصطفاء ما يتوافق معنا فيها من أُسس فلسفية ونظرات فكرية قامت عليها، ورفض ما عدا ذلك مما يمس ثوابتنا العقدية أو الأدبية(١).

وسوف يضمن لنا هذا التلقي الواعي النجاة من فخ غزو هذه المناهج لنا، واضطرارنا للانبطاح أمام سطوتها. فضلًا على أن دراسة هذه المناهج سوف تُمكِّننا من الاتساق مع الإبداع العربي الحديث والمعاصر والمستقبلي، المُحَمَّل بالنظر الفلسفي ومشكلات العصر ومستجداته، التي ربما تتجاوز في عدد من جزئياتها بعض مُواضعات النقد العربي القديم ومُسلَّماته وطرائقه التحليلية(٢).

(١) يقوم أي منهج نقدي غربي على قاعدة ثُلاثية، تتمثل أولًا في **نظرية أدبية مُعيَّنة**، تعتمد على أساسٍ فلسفي أو اجتماعي أو نفسي –هذا الأساس قد يتعارض أحيانًا في جزئية منه أو في عدة جزئيات مع ثوابتنا العقدية أو الأدبية، وفي هذه الحالة يتم التنبيه على سبب هذا التعارض، وبيان السبيل الأمثل للرد عليه–، وتتمثل ثانيًا في **أدوات إجرائية مُحدَّدة**، يتم من خلالها مُمارسة عملية التحليل النقدي المنهجي، وتتمثل ثالثًا في **جهاز اصطلاحي خاص بكل منهج على حدة**. يُنظر: مناهج النقد المعاصر، صلاح فضل، ص١١ وما بعدها، ميريت للنشر والمعلومات، ط١، القاهرة، ٢٠٠٢م.

(٢) بعيدًا عن التحيز، يتخيل الباحث مقدار الحيرة التي سوف تعتري أعظم نقاد التراث إن استطعنا اختراق الزمن ووضعنا بين أيديهم دواوين عددٍ من شعراء العصر الحديث، مثل: (مُظفر النواب) أو (محمود درويش) أو (سميح القاسم) على سبيل المثال، وطلبنا منهم نقد هذه الدواوين وتحليلها وفْق الرؤية التراثية التي لم تُقصِّر في نقد أدبها المعاصر لها، وتحليله خير تحليل وأروعه.

وبهذه الملاحظة الأخيرة على وجه التحديد نكون قد دلفنا إلى صُلب تلك الإشكالية التي تضع الأصالة في مواجهة المُعاصرة، والقديم في مُجابهة الحديث، في إطار خطابٍ مُنذرٍ يتحدث عن الغزو الثقافي الذي يُهدد باقتلاع التراث من جذوره. والحق أن تراثنا العربي العظيم يقف فعلًا في مهب الريح مترنحًا يمنة ويسرة!، لا لعيبٍ في هذا التراث، بل لوجود مشكلة فينا نحن الورثة الشرعيين له!. فالتراث الذي يُمثِّل كل "ما ابتدعه عقل الأمة من مُبتكرات، وما صنفه من تأليف، وما سجَّله من رسوم، وما خطَّه من مناهج"(١)، بقدر ما مثَّل نقطة تفوق كبرى في حق أسلافنا الراحلين، بقدر ما تحول بين أيدينا إلى سلاح ذي حدين، فتح علينا بابًا واسعًا للفُرقة، ونافذة مُشرَعة للتِيه الداخلي، وتَرَكَنَا في وضعٍ حرجٍ أمام أسلافنا، وأمام الآخر، وأمام التاريخ!.

أمَّا فتح التراث بابًا واسعا للفُرقة، فسببه تقسيم جموع المثقفين قسمين، قسمًا يدعو لإحيائه والاكتفاء به، وقسمًا آخر يُنادي بنبذه والاستغناء عنه، "الأول حاول اختزال الزمن...انطلاقًا من أن سلفنا الصالح لم يُهمل شيئًا، وكل ما أنتجته حضارة الغرب تحتوي عليه حضارتنا الإسلامية...أما الثاني...(فـ)عنده أوربا...منبع البضائع وكذلك منبع الأفكار، والمناهج، والنهضة تقف على محاكاتها والأخذ عنها"(٢)، وما بين الطرفين قامت معارك لا تهدأ، وحملات تخوينٍ لا تنتهي، استُهلكت فيها طاقات زاخرة كان بإمكانها إحداث فارقٍ كبيرٍ في

(١) لم يستطع الباحث الوصول إلى المصدر الأصلي لهذا الاقتباس، وهو كتاب بعنوان: التربية السكانية، تأليف: محمود السيد. فنقله من مرجع وسيطٍ، عبارة عن بحث بعنوان: التراث مرآة الحضارات على مرِّ العصور، رحاب محمد، ص١٧٩، مجلة المعرفة، ع:٥٩٠، مج: ٥١، وزارة الثقافة، ٢٠١٢م.

(٢) التراث وإشكاليات القراءة، محمد علي الكبيسي، ص١٠٩، مجلة الفكر العربي المعاصر، ع: ٢٩، مج: ٥١، مركز الإنماء القومي، ١٩٨٤م. (بتصرف)

مسار الثقافة العربية والفكر النقدي لو قُدِّر لها الاتفاق على كلمة سواء[١].

و أمَّا فتح التراث نافذة مُشرَعة للتيه الداخلي، فمرده إلى أن هذه الازدواجية في التعامل مع التراث أدت إلى إحداث "انفصام ثقافة/ مجتمع...وأصبح هذا الانفصام أحد ثوابتنا، فالفرد في هذا المجتمع يجد نفسه غارقًا أمام بضائع وتكنولوجيا متقدمة من ناحية، وأيدلوجيا ضاربة في أعماق التاريخ تعادي كل تجديد"[٢] من ناحية ثانية، فأصبح الشخص المثقف –بل حتى الإنسان العادي– يعيش متخبطًا داخل مَرايا نفسية مُتنافرة، يصيح الواحد منا بضرورة التمسك بشعار الهُوية، ومحاربة الغزو الغربي، بينما تنتقل موجات صوته عبر الأثير إلى شيعته المتحمسين له من خلال أجهزة الراديو التي اخترعها هذا العدو الغربي!، وتبدو انفعالاته واضحة فوق شاشات التلفاز التي صنعها هذا العدو كذلك!. وهو انفصام بغيض جعل الذين ينظُرون إلى الصورة الكُلِّيَّة بتجرد وموضوعية؛ يدفعون الثمن من أعصابهم، وصاروا مُطالبين إما بالاتحاد مع صورة الماضي وبالتالي العيش على هامش الحاضر، وإمَّا بالانغماس في الحاضر ومن ثمَّ الانقطاع عن جذورهم ومادة حياتهم!.

و أمَّا تركُ التراث لنا في وضع حرج أمام أسلافنا وأمام الآخر وأمام التاريخ، فسببه أن المُنادين بالقطيعة أخذوا يُعايرون التراثيين بأنهم يعيشون داخل وهمٍ كبيرٍ لا يستطيع أن يُقدم لنا شيئًا مذكورًا. وابتلع التراثيون الطُعم، وانصبَّ جهد فئة كبيرة منهم على التنقيب في التراث ليلًا ونهارًا "عساها تعثر في خبرته التاريخية عن أجوبة ناجزة، أو عن خامات قابلة لتصنيع أجوبة عن مشكلات

(١) في الوقت الذي بدأت فيه أوربا تشهد تحولاتها النقدية الحداثية –في ثلاثينيات القرن الماضي– كان أعظم ناقدين في تاريخنا الأدبي الحديث مشغولين بشيٍّ بعضهما بعضًا على السفُّود!.

(٢) التراث وإشكاليات القراءة، محمد علي الكبيسي: ص١٠٩. (بتصرف)

حاضرها"[١]، لتُثبت للمُشكِّكين أن التراث لا يمكن أن يموت. وهكذا غرقت الأجيال تلو الأجيال في دوامة لا تنتهي من الجدل، بينما العدو يراقب في خبث، ويتطور في صمت، ويضحك ملء شدقيه من هؤلاء السائرين على درب الهنود الحمر!.

لكن –كما سبقت الإشارة– ليست هذه النتيجة المُزرية التي انتهينا إليها مسؤولية التراث، بل هي مسؤوليتنا نحن، إذ فاتنا في خضم هذا الصراع أننا نخوض الحرب الخطأ!، وأننا نُسقط عُقد حاضرنا على ماضينا، وأننا نظلم هذا الماضي معنا حين نُلزمه بإمدادنا بحلول سحرية تُغيِّر لنا واقعنا، وغفلنا عن أن تغيير هذا الواقع مرتبط –أولًا وأخيرًا– بتغيير نظرتنا له، وكذلك تغيير نظرتنا للتراث الذي هو "مُحايد في علاقتنا به كمادة مدروسة، فلا هو ضدنا ولا هو في صالحنا، (بل) نحن...من يهدر حياده...فيورطه في معارك الحاضر...وإذا كان يبدو اليوم مشكلة وعائقًا وكابحًا عند فريق، أو حلًا ومرجعًا وملاذًا عند فريق آخر، فلأن الأول أراده مُشكلة، والثاني أراده حلًا"[٢].

ويضع لنا باحث متميز في قضية التراث، خارطة طريق يمكن من خلالها تناول هذه القضية بموضوعية كاملة تتسق مع تلك الفكرة السابقة، فيقول: "يبدأ البحث العلمي في التراث من القطع المعرفي مع ثلاث نزعات مؤذية للموضوع...النزعة التبجيلية للتراث...والنزعة الاحتكارية للتراث...ثم النزعة الاستثمارية للتراث...المتمسكة بفرضية أن التراث جبهة صراع...ومادة للاستغلال لصالح هذا الموقع أو ذاك. ليس التراث مُقدسًا ولا مُدنسًا ولا حلبة

(١) سؤال التراث في الفكر العربي المعاصر، عبدالإله بلقزيز، ص١٤٤، مجلة المستقبل العربي، ع: ٤٠٨، مج: ٣٥، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠١٣م.

(٢) الصراع على التراث، عبدالإله بلقزيز، ص١٤٦، سلسلة المعرفة للجميع، ع:٥٩٠، مج: ٥١، المغرب، ٢٠١٢م. (بتصرف)

مواجهـة، إنـه موضـوع للمعرفـة وحسـب"[١]. وحـين نتفـق علـى هـذه الخطـوات المنهجية، نكون قد وضعنا أقدامنا على بداية الطريق الصحيح، وسلكنا مسلكًا جادًا للحاق بركب الأمم التي حسمت منذ زمنٍ بعيدٍ قضية الهُوية، وتجاوزت بنجاحٍ فخ الصراع بين الماضي والحاضر، وانصبَّ كل تركيزها على بناء المستقبل، مُستفيدة –في الوقت نفسه– من درس الماضي ونتائجه، "وبالتالي فقد بات يسيرًا عليها أن تنظر إلى تاريخها الماضي وتراثها نظرة مُتوازنة وسوية لا عُصاب فيها...مُتحررة من حدين نقيضين: النزعة التبجيلية التقديسية، والنزعة الإنكارية الاحتقارية"[٢]. وحين نتحرر نحن أيضًا من هذين النقيضين –كما تحررت هذه الأمم– نكون قد قطعنا الطريق على العدو الذي يُريد لنا أن نبقى أسرى هذه المعارك الهوائية إلى الأبد. كما أننا سوف نقطع الطريق كذلك على المعارك التي طالما أثارتها فكرة التراث الموازي، حيث "لكل فريق تراثه الذي ارتضاه لنفسه، وعليه...أن يُدافع (عنه)...وأن يُسفِّه تراث خصمه"[٣]. وحين تسود النظرة الموضوعية في تناول التراث بوصفه كتلة متجانسة من البياض والسواد، فيُمكن لنا حينذاك النجاة من غوائل هذه الصراعات.

غير أن تلك النظرة الموضوعية لمادة التراث لابد أن تأتي في سياق منهجية علمية مُحايدة، وهذا أمر قد يصعب –في رؤية الباحث– تجميع أدواته الإجرائية الكاملة من خلال التراث نفسه، لأن الحكم على شيء بواسطة نفس الشيء أمر مضاد للحيدة ومانع من نفي التحيز، وحتى إن أمكن تصور حدوث ذلك، أفلا يكون من الأفضل –بل من اللازم!– وجود عنصر خارجي يُضاف إلى العنصر الداخلي لتحقيق أقصى استفادة، وللوصول إلى أفضل نتيجة، من منطلق

(١) الصراع على التراث، عبدالإله بلقزيز، ص١٤٧. (بتصرف)
(٢) سؤال التراث في الفكر العربي المعاصر، عبدالإله بلقزيز: ص١٤٦. (بتصرف)
(٣) الصراع على التراث، عبدالإله بلقزيز: ص١٣٨. (بتصرف)

التوجيه القرآني: {حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا}[١]؟. وهذا العنصر الخارجي يتمثل –في تصور الباحث– في مناهج النقد الغربية الحداثية وما بعدها.

ولم تجئ هذه الدعوة –التي قد يراها البعض غريبة– جريًا على سُنَّة الانبهار بالغرب، ولا فقدًا للرباط الوثيق الذي يربط صاحب هذا البحث بدينه وأمته، بل لا يمكن تصور ذلك أصلًا ممن منَّ الله عليه بالنشأة في رحاب الأزهر الشريف، ثم منَّ عليه أخرى بمعرفة العقيدة الصحيحة من منابعها الأصيلة: القرآن والسنة –بفهم الصحابة الكرام الذين هم أعرف الناس بنبيهم ودينهم ولغتهم–، ثم منَّ عليه ثالثة بأن جعل إيمانه بأمته الإسلامية وتراثه العربي الفريد إيمانًا راسخًا ثابتًا. لكن المنطلق الحقيقي لهذه الدعوة –التي تُنادي بالاستفادة من مناهج النقد الغربية– يأتي في سياق إدراك الباحث لجانب الضعف الأبرز في ثقافتنا المُعاصرة، المُتمثل في تصوير كل شيء على أنه أفضل شيء!، القائم على سياسة دفن الرأس في عمق الرمال، مع أن كل مُنصفٍ يُمكنه إدراك أن بحثنا النقدي المعاصر يُعاني أشد المعاناة، ويدور في حلقات مُفرغة، وأن عددًا لا يُستهان به من الرسائل العلمية الأكاديمية يتم تناولها بشكلٍ لا تتحقق فيه أدنى معايير المنهجية العلمية أو البحث النقدي الموضوعي، ولابد من ضخ دماء جديدة تُعيد للعقل العربي المعاصر بريقه النقدي الذي سبق أن أضاء سماء الأجداد في عصور الأدب الذهبية[٢].

---

(١) سورة النساء: من الآية (٣٥).

(٢) ربما أظهرت هذه الخوارزمية –على غير الحقيقة– أنني أقسو على أمتي وعلى تراثها، وأحملهما مسؤولية الهزيمة التاريخية التي مُنينا بها أمام الغرب. لكن هذه الصورة سوف تتغير حتمًا عند مُطالعة الخَوارَزمية الثانية، التي يُجلِّي الباحث من خلالها شيئًا من فضل العرب على أوربا في قديم عصرها وحديثه. لهذا تم التنبيه في توطئة هذا البحث على ضرورة القراءة المتأنية للمحتوى بشكل مُتسلسلٍ مُتتابع.

ثم أليس درسنا النقدي الحديث قائمًا بالفعل على أصول المناهج النقدية الغربية الحديثة: المنهج التاريخي والاجتماعي والنفسي والأسطوري.. إلخ؟[١]، فما الفارق إذن بين هذه المناهج الحديثة التي اعتمد عليها نُقَّاد الإحياء العرب، وبين غيرها من المناهج الحداثية التي يدعو الباحث إلى الاستفادة منها؟. وماذا لو افترضنا أن هؤلاء النقاد قد وقفوا من تلك المناهج التي كانت رائجة في زمانهم موقف الرفض المُمَاثِل لما نقفه الآن من المناهج الرائجة في زماننا، هل كان بمقدورهم أن يُبدعوا هذه الدراسات النقدية التي نعتز بها ونتتلمذ عليها؟[٢].

بل لماذا تأخذنا الرِعْدة حين نتحدث عن الاطلاع على ما عند الآخر من مناهج فكرية حداثية لا تتعارض أغلب أدواتها الإجرائية وأجهزتها الاصطلاحية مع ثوابتنا الأدبية والنقدية، ولا تأخذنا الرِعْدة ذاتها حين نستورد تكنولوجيا الغرب أو كيماوياته المُعالجة، مع أنه قد يكمن في هذه الأشياء ما هو أشد خطرًا علينا؟!، ألسنا نبدو بهذا الفِصام الفكري مثل شخص يتمسك بنموذج الطيران البدائي الذي صنعه العالم الأندلسي العظيم (عباس بن فرناس)(ت: ٧٩٦ هـ)، رافضًا في الوقت نفسه أي حديث عن تطويره أو استبداله بطائرة من طراز (بوينغ ٧٤٧) على سبيل المثال، بزعم أن هذا النموذج عنوان للأصالة والتراث؟!.

لكن إذا تحلينا بشجاعة المُواجهة، ونظرنا إلى قضية الهُوية وصراع القديم والحديث نظرة واعية، في إطار توظيف مناهج النقد الحداثية والاستفادة من كتلة

(١) على الرغم من أن بذرة هذه المناهج الغربية موجودة بالفعل في عمق تراثنا العربي الأصيل، لكنها لم تجد من التطوير والتحديث ما ينقلها من مرحلة البذرة أو النبتة إلى مرحلة الشجرة السامقة الفروع، أو يحولها من نظراتٍ ورؤى نقدية إلى منهج مُتكامل له بنيته وخواصه المُتفرِّدة.

(٢) لتوضيح هذه الفكرة بشكل أوسع، يُنظر: دليل النظرية النقدية المعاصرة، بسَّام قطّوس، ص١٥-١٦، فضاءات للنشر، عمَّان، ٢٠١٦م.

المعلومات المهولة التي تحملها في داخلها، فلن يكون ثمة داعٍ أصلًا لقيام صراع بين القديم والجديد، أو بين المعاصر والأصيل، لأن القديم سيُرفد الجديد ويُثريه، والجديد سيقوم باستثمار القديم والعمل على ترقيه. وهذه الجزئية قد أدركها منذ قرون مبدعو هذا التراث –الذي نتباكى عليه– فانفتحوا في عصورهم الأدبية الخالدة على كافة منافذ الفكر الأدبي والنقدي المحيط بهم، مُتنخلين ما يُناسبهم، طارحين مالا فائدة فيه(١).

ويُمثِّل هذا التناول المنهجي الغاية الكبرى التي يطمح إليها الباحث، حيث تتم الاستفادة من مناهج النقد الغربية في إطار رؤية مستبصرة، قائمة على أساسٍ من ثوابتنا العقدية والأخلاقية والأدبية، لا ترفض جُملة المعارف الغربية كلها، ولا تقبلها كلها، وإنما تنتخب منها ما فيه الفائدة، وتوظفه، وتنفتح من خلاله على الفكر العالمي، وتخرج به من ذلك الإحساس بالصَغار الذي يكتنف بعض النفوس حين تتم الإشارة إلى أدبنا العربي في سياق الحديث عن التحليل الحداثي وما بعد الحداثي للنصوص الإبداعية.

والوصول إلى تلك الغاية الكبرى يقتضي منَّا الإحاطة الدقيقة بما يملكه الغرب من إمكاناتٍ نقديةٍ كبيرةٍ تولدت من تمازج الأفكار النقدية العالمية على مدار قرون، ذلك التمازج الذي قد يغيب مداه عن أذهان بعض من يهونون من شأن النقد الغربي، وينظرون إليه بوصفه نقد أشخاص معدودين في بيئة محلية محدودة، على نحو ما كتب أحد النقاد تحت عنوان (هل النقد الأوروبي عالميٌّ ومُلزِم للأمم؟) يقول: "مما سبق تبين لنا أنّ النقد الأوروبّي...نقد محلي يحمل نكْهة البيئة التي وُلد فيها، وهو نقد...تجمعه ثقافة لها همومها وفروقها وقواسمها

(١) يُنظر على سبيل المثال: الأثر الأرسطي في النقد والبلاغة العربيين إلى حدود القرن الثامن الهجري، عباس أرحيلة، ص٧٣، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، المغرب، ١٩٩٩م.

المشتركة المُخالِفة للبيئات العالميّة"[١].

وفي هذا النقل دلالة على عدم إدراك شمولية مناهج النقد الحداثية لمفهوم العالمية، وإلا لعلِم هذا الناقد أن ما يُطلق عليه (النقد الأوربي) لم ينشأ في أوربا وحدها، وأن عددًا لا يستهان به من منظريه قد وُلدوا وعاشوا أكثر حياتهم في أراضٍ تبعد عن أوربا آلاف الأميال. فهو إذن ليس نقدًا محليًا (يحمل نكْهة البيئة التي وُلد فيها) كما يقول الكاتب، وإنما هو نقد عالمي بكل ما تعنيه الكلمة، اغتذى من مختلف الأعراق والبيئات والجنسيات والثقافات، أسَّسَهُ وقعَّد له: السويسري (دي سوسير)، والروسي (رومان جاكبسون)، والفرنسي (رولان بارت)، والتشيكي (إدموند هوسرل)، والعربي (إدوارد سعيد)، والأميركي (تشارلز بيرس)، والألماني (هانز ياوس)، والنمساوي (ليو سبيتزر)، والبلغاري (تزفيتان تودوروف)، والمجري (مارتن إيسلن)، والبولندي (تاديوش كوفزان)، والبنغالية (جاياتري سبيفاك)، والإنجليزي (بول جرايس)، والبلجيكي (شاييم بيرلمان)، والهندي (هومي كيه بابا)، والإيطالي (إمبرتو إيكو)، والروماني (لوسيان جولدمان).. إلخ[٢]، فأين المحلية من هذا الطوفان العالمي الجارف؟، وهل وُسِمَ هذا الجهد الكوني في

(١) هل النقد الأدبي الأوروبي عالميٌّ ومُلزِم للأمم؟ (قراءات ودراسات)، عباس المناصرة، المجلة الثقافية الجزائرية، رابط: thakafamag.com. (د.ت) (بتصرف)

(٢) لا يوجد معجم نقدي عربي مطبوع –في حدود علم الباحث– استوعب جميع هذه الأسماء بالترجمة، وقد حاول الباحث سد هذا النقص في المكتبة النقدية من خلال العمل على مُعجم جامع، اختار له اسمًا مبدئيًا هو: ببليوجرافيا نقاد الحداثة وما بعدها، يتناول من خلاله –بشكل مُفصل– الحديث عن هؤلاء النقاد، وعن إسهاماتهم داخل نظرية الأدب ومدونة النقد الحداثية، وحتى يأذن الله بإتمام هذا المعجم وطبعه، فالمصدر الشامل الذي يمكن الإحالة إليه الآن في التعريف بهؤلاء النقاد هو الموسوعة الحرة (ويكيبيديا): https://ar.wikipedia.org/.

مُجمله بالنقد الغربي–تجاوزًا– إلا لكون العَالم الغربي قد مهد له الجو المناسب لينمو ويزدهر، في الوقت الذي كانت تتم فيه محاربته في أغلب بيئاته الأصلية –تمامًا كما يحدث عندنا الآن![1]–.

ثم لماذا نقبل أن يصخب العالم كله ويتفاعل على مائدة النقد العالمي، بينما نجلس نحن على مبعدة منهم نلوك تلك الأفكار المنغلقة التي ترفض المُشاركة والتفاعل والاندماج، وتعيش مُحمَّلة بِعُقَد الاستعلاء غير الموضوعي أو الدونية غير المبررة؟!، إن هذا المبدأ الانعزالي لا يقل في خطره عن مبدأ الانفتاح غير المشروط على الغرب، كلاهما خطر، وكلاهما مُميت، وكلاهما يجب أن يُرفض.

وإذا اقتنعنا بهذه الرؤية التي تدعو للتمسك بالثوابت والهوية كأساس لا يمكن التزحزح عنه، مع تحقيق الانفتاح النافع على ما يملكه الغرب من إمكانات نقدية يُمكن لنا توظيفها والبناء عليها، فقد حان الوقت للانتقال إلى الخَوارَزمية الثانية لِمُناقشتها وتحليلها.

(١) حدث ذلك مثلًا مع الناقد الروسي (رومان جاكبسون)، إذ أغلقت السلطات (حلقة موسكو) اللغوية التي كان ناشطًا فيها، فاضطر للانتقال إلى (تشيكوسلوفاكيا) منضمًا إلى (حلقة براغ)، لكن الحكومة التشيكية سارعت إلى حظرها كذلك وجدّت في القبض عليه بزعم مناهضته للفكر الشيوعي الذي تتبناه الدولة، فلم يجد أمامه من سبيل سوى الفرار إلى الغرب الذي استقبله بحفاوة بالغة، وفتح له أبواب أرقى الأكاديميات العلمية، فظهر أثر تهيئة الأجواء أمام هذه العقلية النقدية الفذة في سلسلة متوالية من النظريات والمناهج والإبداعات والممارسات النقدية بالغة الأهمية التي يصعب حصرها في هذه العُجالة أو الوقوف على أثرها في توجيه مسار النقد الحداثي وما بعده. للمزيد يُنظر: مناهج النقد المعاصر، صلاح فضل: ص٨٨.

**<u>الخَوارَزمية الثانية</u>: أليس قَبولنا لهذه المناهج الغربية معناه أننا سنكون تابعين لِمُنتجيها، مُنهزمين أمامهم فكريًا وثقافيًا؟.**

يجب علينا –قبل الدخول في تفصيلات الإجابة على هذا السؤال– النظر إلى التاريخ بوصفه حلقات مُتعاقبة يُسلم بعضها إلى بعض، فالإغريق والرومان حين بلغوا أوج الحضارة في عهدهم كانوا مدينين في ذلك لقدماء المصرين(١)، والمصريون القدماء تلقوا بدورهم مبادئ الحضارة والتقدم عن الأمم السابقة الأشد قوة والأكثر آثارًا.. وهكذا. وحين استثمرت أمتا الإغريق والرومان هذه المعارف المنقولة والموروثة دانت الأرض لسطوتهما، ثم لم تلبث تلك السطوة حتى تحولت –بفعل ظهور الأمة المسلمة– إلى تقهقر سريع في كافة مجالات الفكر والمعرفة، لتسقط أوربا في النهاية في عصورها الوسطى المُظلمة.

ثم حين أعاد التاريخ كرَّته –وفقًا لِسُنَنِ الله في كونه– وراح العالم الإسلامي يفقد تميزه العقدي والحضاري ويبتعد عن ثوابته المعرفية، بدأت أوربا على الجهة المقابلة تستفيق مُحاوِلة اللحاق بركب الحضارة من خلال ما عُرف بحركات الإحياء والإصلاح التي كانت في مُجملها –على اختلاف توجهاتها وتوقيتاتها– نتاجًا لثلاثة عوامل رئيسة(٢) –**<u>كان السبب الأبرز فيها هم العرب والمسلمون</u>**– هي:

(١) يُنظر على سبيل المثال: التراث المسروق، جورج جي، تر: شوقي جلال، ص١٧، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة. (د.ت)

(٢) عدَّدَ الدكتور (علي الدفَّاع) هذه العوامل الثلاثة في كتابه القيم: روائع الحضارة العربية والإسلامية في العلوم، ص٢٩–٣٠، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٨م. لكنه عددها بإيجازٍ واختصارٍ لا يتجاوز بضعة أسطر، فحاول الباحث عرضها باستطراد أوسع يخدم الفكرة.

**العامل الأول:** كان "عن طريق اتصال العرب والمسلمين ومجاورتهم لعلماء أوربا إبَّان حكم الأمويين في الأندلس"[١]، فقد كانت الأندلس حضارة زاهرة، مثَّلت طوال قرون مشعل النور الذي أضاء أرجاء أوربا، وبدد فيها ظلمات الجهل والخرافة. ولما حلَّت الفاجعة وانهد ركن الأندلس المهيب "استولى الأوربيون على الكنوز العلمية التي خلَّفها العرب والمسلمون"[٢] ونجحوا في الاستفادة منها، نظرًا لإجادة العديد منهم اللغة العربية من خلال تلمذتهم على علماء الأندلس. كما أنه بعد سقوط (طليطلة) مباشرة سارع "ريموند النصراني –الذي يُعتبر من كبار الشخصيات في طُليطلة– في إنشاء معهد لترجمة الكنوز العربية إلى اللغة اللاتينية في نفس العام، وبدأ بتوزيعها على أقطار أوربا"[٣] لتتم دراستها والاستفادة منها.

**العامل الثاني:** ونتج بسبب ما كان "من اتصال بين علماء المسلمين وعباقرتهم بعلماء أوربا في صقلية عن طريق التجارة والمعاملات والمصالح المُختلفة"[٤]، لاسيما في عهد الملك الصقلي (روجير الثاني)[٥]، الذي أظهر للدين الإسلامي وللثقافة العربية خالص الإجلال والتقدير[٦]، وقد أدى اعتماد هذا الملك اللغة العربية لغة رسمية في بلاده، إلى نشاط حركة الترجمة عن العربية إلى اللاتينية في مختلف العلوم والتخصصات.

---

(١) روائع الحضارة العربية والإسلامية في العلوم، علي الدفَّاع: ص٢٩.

(٢) المرجع السابق: الصفحة نفسها.

(٣) السابق: ص٢٨.

(٤) السابق: ص٣٠.

(٥) لترجمته يُنظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ١٥٩/٨، دار صادر، بيروت، ١٩٨٠م.

(٦) يُنظر: العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، عبدالمنعم ماجد، ص٣١، مكتبة الجامعة العربية، بيروت، ١٩٦٦م.

وكـان (روجيـر الثـاني) صـديقًا شخصـيًا للعـالم الجغرافـي (الشـريف الإدريسي)، وقد عَمِل على استقدامه من الأندلس بعد سقوطها، وطلب منه أن يُحدِّد له شكل الأرض وأقاليمها، ووفَّر له كل الوسائل المساعدة لتحقيق هذه الغاية، وقد ألَّف له (الإدريسي) أهم كتبه، الموسوم بـ(نُزهة المشتاق في اختراق الآفاق)[١]، وهو الكتاب الذي وصفته المراجع الأوربية بأنه "أوفى كتاب جغرافي تركه لنا العرب، وأن ما يحتويه من تحديد للمسافات والوصف الدقيق يجعله أعظم وثيقة علمية جغرافية"[٢].

**العامل الثالث:** ونتج عن الحروب الصليبية واحتلال الفرنجة "لكثيرٍ من البلاد العربية والإسلامية...وسرقتهم كل الإنتاج العلمي الإسلامي ونقله إلى مكتبات أوربا"[٣]. ومن المعروف أن الحملات الصليبية قد امتدت على مدار قرنين أو يزيد، وهي مدة جدّ كافية ليتعلم الغربيون الكثير من العرب المسلمين، وليسرقوا أيضًا أكبر كمٍّ ممكن من تراثهم العلمي والحضاري[٤] بعد سرقة تراثهم المادي، إذ كان عامة الجيش الصليبي مُكوَّنًا من اللصوص والمجرمين وقطاع الطرق، بشهادة بابا النصارى (أوربان الثاني)[٥] الراعي الرسمي لهذه الحملات.

---

(١) يُنظر: نُزهة المشتاق في اختراق الآفاق، الشريف الإدريسي، ٤/١، الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٢م.

(٢) العلوم الجغرافية في التراث الإسلامي، أحمد فؤاد، ص١٢٠، مجلة المنهل، عدد متخصص بالجغرافية، السعودية، ١٩٩٧م.

(٣) روائع الحضارة العربية والإسلامية في العلوم، علي الدفَّاع: ص٣٠. (بتصرف)

(٤) كما فعلوا في العصر الحديث في فيتنام وخراسان والعراق وسوريا وبلاد القرن الإفريقي وغيرها.

(٥) يُنظر: اللُّصوصية في العصور الوسطى عصر الحروب الصليبية نموذجًا ٤٨٩ – ٦٩٠هـ/ ١٠٩٥ – ١٢٩١م، أشرف صالح، مجلة دراسات تاريخية، ع: ٦، مركز عدن للدراسات، ٢٠٢١م.

وبسبب هذه العوامل السابقة وما تمخض عنها من نتائج، دخلت أوربا مرحلة التيقظ، التي **يرجع الفضل للمسلمين أيضًا في توجيهها وجهة صحيحة**، فقد كانت للعلوم والثقافة الإسلامية آنذاك "سيادة وتألق جعلها تغزو أوربا في معظم مجالات الفكر، في وقت كانت فيه أوربا...في حاجة شديدة إلى ذلك الشعاع القادم من الشرق حاملًا في جنباته روائع العلوم والآداب والفنون"(١)، ومن ذلك الفيض العربي الإسلامي الخالص امتاح الأوربيون واغتذوا، مستفيدين من مؤلفات العرب، ومن ترجماتهم العربية لتراث أوربا القديم مصحوبًا بالتصويب والتعديل، فمن الثابت المشهور أن "العلوم الإغريقية لم تصل إلى العالم المُعاصر إلا عن طريق المصادر الإسلامية. والترجمات اللاتينية القديمة للمخطوطات الإغريقية تعتمد في الأغلب على مُؤلَّفات إسلامية"(٢)، ومن رحم هذه المؤلفات الإسلامية بدت التباشير الأولى لولادة ما عُرف باسم: عصر النهضة الأوربي.

ومن هنا أمكن القول إن أوربا وأهلها عيالٌ على المسلمين في التحضر، إذ قلَّ أن يوجد علم من العلوم، إلا وللعرب والمسلمين فيه باع، إما عن طريق الاكتشاف أو التقعيد أو التطوير والتحديث، تستوي في ذلك العلوم النظرية والعلوم التطبيقية. وقد استفادت أوربا من ذلك الجهد العربي الإسلامي، ونجحت من خلاله في تغيير واقعها الظلامي والقيام بوثبة حضارية مادية مذهلة، ويمكن التمثيل على نماذج من ذلك الجهد العربي الإسلامي فيما يلي:

**أولًا**– في العقيدة: قدَّم المسلمون للغرب أنقى وأوضح تصور ممكن عن الإله الخالق العظيم (جَلَّ جَلالُه) وعن الأنبياء والمرسلين (صلوات الله عليهم)،

(١) العرب والمسلمون في ثقافة فرانشسكو بتراركا، أنور شاهين، ص٦١، مجلة فصول، ع: ١٠٧، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٢٢م. (بتصرف)

(٢) دور العلماء المسلمين في تطوير العلوم، إبراهيم القباني، ص١٧، النشاطات الثقافية، السعودية. (د.ت)

مما كان له أبرز الأثر في نشوء حركات الإصلاح الديني التي مثَّلت خُطوة مهمة في سعي أوربا إلى التخلص من الفكر الكنسي العقيم(١).

**ثانيًا**– في التشريع: تكفي الإشارة إلى أن "أوربا مدينة للإسلام بالجانب الأكبر من قوانينها الإدارية والتجارية"(٢)، فالقانون الفرنسي الحديث –على سبيل المثال– قائم على الفقه الإسلامي، وقد أقرَّ بذلك عدد كبير من مفكري أوربا، من بينهم المستشرق الفرنسي (لويس سيديو) الذي قال: "إن قانون نابليون منقول عن كتاب فقهي في مذهب الإمام مالك وهو شرح الدردير على متن الخليل"(٣).

**ثالثًا**– في الجانب السياسي: قدم الإسلام للغرب نماذج قيادية فريدة، مثَّل دُرَّتها نبي الرحمة محمد (ﷺ)، ثم قادة المسلمين من بعده، ومنهم القائد (صلاح الدين الأيوبي) الذي نُسجت حوله الأساطير في مختلف أرجاء العالم المسيحي في فترة القرون الوسطى(٤).

**رابعًا**– في الجغرافيا: وفيها حاز المسلمون قصب السبق، حيث ثبت لدى المؤرخين أن المسلمين هم من قادوا مستكشفي الغرب في رحلاتهم البحرية، ومن ذلك "ما عثر عليه المستشرق الفرنسي (فران) من نصٍ صريحٍ يُشير إلى أن

(١) يُنظر على سبيل المثال: أثر الإسلام في حركة الإصلاح البروتستانتينية، السيد الشاهد، كتاب مجلة البيان، ع:٢٢، المنتدى الإسلامي، ١٩٨٩م.

(٢) سياسيون حاربوا الإسلام، عبدالناصر أبو هارون: ص٢٤–٢٥، دار الرشيد، دمشق، ١٩٩٦م.

(٣) المرجع السابق: ص٢٤. وقد مارست معنا (أوربا) نفس اللعبة القديمة: سرقت قوانين شريعتنا، وأعادت صياغتها، ثم صدَّرتها لنا –ناقصة مُحرَّفة مختلطة بأهواء الطبقات الحاكمة والمنتفعين والمُرابين– برعاية (رفاعة الطهطاوي)!.

(٤) يُنظر: صلاح الدين الأيوبي البطل الأنقى في الإسلام، ألبير شاندور، تر: سعيد أبو الحسن، ص٣٧٩، دار طلاس، سوريا، ط٢، ١٩٩٣م.

(ابن ماجد) هو الذي أرشد الملاح البرتغالي (فاسكو داجاما) إلى طريق الهند"[١] الذي أحكمت أوربا من خلاله سيطرتها على الملاحة العالمية لقرون. وقد أُشير سلفًا إلى ما كان من جهد (الإدريسي) في رسم أفضل خريطة صحيحة للعَالَم القديم، وهو أمر لا يتأتَّى إلا عن خبرة وافرة وتطور معرفي كبير.

**خامسًا**– في الفيزياء: حقق المسلمون في ذلك المجال إنجازات فائقة، سبقوا بها الغرب بكثير، فاكتشاف الجاذبية –الذي يُنسب إلى نيوتن (ت: ١٧٢٧م)– اكتشاف عربي، سبق إليه علماء المسلمين من أمثال: (الحسن بن أحمد الهمداني) (ت: ٣٤٥ هـ/٩٢٥م) الذي قال عن الأرض إنها "بمنزلة حجر المغناطيس الذي تجذب قواه الحديد الى كل جانب"[٢]، وقد تابعه في ذلك العلاَّمة (البيروني) (ت: ٤٤٠ هـ/ ١٠٤٨م) وغيره من علماء الإسلام[٣].

**سادسًا**– في الكيمياء: ثمة "إجماع بين مؤرخي العلوم أن علم الكيمياء علم عربي أصيل، وضعه علماء العرب والمسلمين على أساسه، وثبتوا أركانه بتجاربهم العلمية"[٤]، ومن أبرز علماء المسلمين في ذلك المجال (جابر بن حيان)، الذي "يُعد أبا الكيمياء، وبقيت الكيمياء في العصور الوسطى تُسمى علم

(١) ابن ماجد وإسهاماته في جغرافية البحار، طه بن عثمان، ١٩٩/٢، مجلة دراسات جامعة الملك سعود، ع: ٦، السعودية، ١٩٧٨م.

(٢) كتاب الجوهرتين العتيقتين المائعتين من الصفراء والبيضاء (الذهب والفضة)، الحسن بن أحمد الهمداني، تح: أحمد فؤاد، ص٧٨، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٩م. (بتصرف)

(٣) للمزيد يُنظر: إسهامات العلماء العرب والمسلمين في العلوم الجغرافية والبحار (النشأة والتطور)، عزه زايد مصطفى، ص١١٦، مجلة بحوث الشرق الأوسط، ع: ٤٦، جامعة عين شمس، القاهرة. (د.ت)

(٤) روائع الحضارة العربية والإسلامية في العلوم، علي الدفَّاع: ص٢٦٥.

جابر أو صنعة جابر"[١].

**سابعًا**- في المجال الطبي: وفيه قطع علماء المسلمين شوطًا بعيدًا، إذ كانوا "أول من استعملوا (البنج) في العمليات الجراحية...وأول من اكتشفوا الدورة الدموية...كما صحح الأطباء العرب آراء بقراط وجالينوس في التشريح ووظائف الأعضاء"[٢]. ومن ألمع هؤلاء الأطباء الرئيس (ابن سينا)، الذي "سادت تعاليمه الطبية مدة ستة قرون...وغدت كتبه مرجعًا للأطباء في الشرق والغرب، واعتُمد عليها في جامعات فرنسة وإيطاليا...حتى القرن الثامن عشر"[٣]. وبفضل هذه الإنجازات العربية والإسلامية في مختلف العلوم النظرية والتطبيقية "ارتقت أوروبة الى مكانة مكنتها...من أن تتزعم العالم في ميادين العلوم الطبيعية منذ ذلك التاريخ حتى يومنا هذا"[٤].

**ثامنًا- فيما يتعلق بمجال الأدب والنقد**: كان للعرب في هذا المجال فضل على أوربا قديمًا وحديثًا، **ففي القديم**، أسهم النقد العربي، ومعه الإبداع الشعري الأندلسي، وكذا النثر العربي في المشرق والمغرب، في رفد الآداب الأوربية بنظرات نقدية وإبداعات فنية. فعلى المستوى النقدي، يُمكن ملاحظة أن الكثير مما تضمنه تراثنا العربي من أفكار نقدية ولسانية وبلاغية عميقة، قد وجدت سبيلها إلى العالم الغربي عن طريق الاستشراق الذي بدأت أولى خطواته مُبكرًا،

(١) روائع الحضارة العربية والإسلامية في العلوم، علي الدفَّاع: ص٢٧٤.

(٢) دور العلماء المسلمين في تطوير العلوم، إبراهيم القباني: ص٣٥. (بتصرف)

(٣) دور الحضارة العربية الإسلامية في النهضة الأوربية، هاني المبارك، شوقي أبو خليل، ص١١٣، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٦م. (بتصرف)

(٤) شمس الله تشرق على الغرب (فضل العرب على أوروبا)، زيغريد هونكه، تر: فاروق بيضون، كمال دسوقي، ص١٦٣، دار الجيل، بيروت، ط٨، ١٩٩٣م. (بتصرف)، وهذا السِفر من أنفس ما يجب مطالعته في هذا الصدد.

إذ إن "بعض المؤرخين يعودون به إلى أيام الدولة الأموية في القرن الثاني الهجري"(١)، ومن المؤكد أن أمَّهات كتب النقد العربية: المشرقية والأندلسية على حدٍ سواء، كانت على رأس النتاج الذي قام الأوربيون بترجمته. ولعل هذا يُفسر السبب في وجود أصداء كثيرة للنقد العربي القديم –سيما عند ابن سلام (ت: ٢٣١هـ) والجاحظ (ت: ٢٥٥هـ) وعبد القاهر الجرجاني (ت: ٤٧١هـ) وغيرهم– في مناهج النقد الغربي الحديث: السياقية والنَّسقية.

وعلى مستوى الإبداع الأدبي، أسهم العرب في نشأة فنون قولية جديدة في الآداب الأوربية لم تكن معروفة من قبل، فمثلًا: "في آخر القرن الحادي عشر ظهر فجأة طراز جديد من الشعر الغزلي في جنوب فرنسا...ولم يكن لهذا الشعر أساس في الأدب الفرنسي القديم، وهو يُشبه الشعر الأندلسي شبهًا قويًا...والشعر الإيطالي أيضًا تأثر تأثرًا قويًا بالشعر العربي في صقلية...(كما أن) الأمر الذي لا شك فيه هو أن نثر القرون الوسطى في أوربا يرجع في كثير من أصوله إلى النثر العربي"(٢)، وكل مُتخصص يُمكنه مُلاحظة ملامح مشتركة كثيرة بين اتجاهات الأدب العربي القديم، وبين مدارس الأدب الغربي في عصر النهضة وما تلاه.

**وأمَّا حديثًا**، فيما يخص مُشاركة العرب والمسلمين الفاعلة **في حركة الحداثة وما بعدها** **–وهي النقطة الجوهرية التي يريد هذا البحث لفت الأنظار إليها**– فقد تم ذلك من خلال الاتصال المباشر –وغير المباشر أحيانًا– بين عددٍ كبيرٍ من مُبدعي ومطوري تلك المناهج الحداثية وما بعدها، وبين العالَمَيْن

(١) لمحة عن الحركة الاستشراقية ووسائلها وأهدافها، عبير الثقفي، ١/١٠٧٠– ١٠٧١، حولية كلية الدراسات الإسلامية للبنات بالإسكندرية، ع: ٣٥، جامعة الأزهر، ٢٠١٩م.

(٢) ما هي النهضة؟، سلامة موسى، ص٥١–٥٢، مؤسسة هنداوي، القاهرة، ٢٠١١م. (بتصرف)

العربي والإسلامي في فترة ما قبل، وأثناء، وما بعد إنجازهم الحداثي المُؤثِّر. ويمكن إيجاز أبعاد ذلك الاتصال الذي حدث بين هؤلاء النقاد الحداثيين وبين الوطن العربي في أربعة اتجاهات، هي: الأصل العربي لبعض هؤلاء الرواد، مولد ونشأة بعض منهم –ذوي أصول أوربية– في بلاد العرب، عمل قسمٍ ثالثٍ منهم في البلاد العربية في الهيئات العسكرية أو في الجامعات الأكاديمية، تفاعل مجموعة رابعة منهم –وهم في الداخل الأوربي– مع الأحداث العربية الساخنة، ويمكن بسط ذلك الإيجاز بشكل مُختصر فيما يلي:

**١–<u>نقاد حداثيون من أصول عربية</u>:** من أبرزهم الناقد الفلسطيني **(إدوارسعيد)**[١]، الذي يُعد أحد أهم نقاد حركة ما بعد الحداثة في العالم كله. وهو من مواليد القدس الشريف عام ١٩٣٥م، هاجر في مطلع شبابه إلى الولايات المتحدة، وتابع دراسته فيها حتى شغل درجة الأستاذية في جامعة (كولومبيا) قسم اللغة الإنجليزية والأدب المقارن، وقد وضع بكتابه (الاستشراق) الجذور المؤسِسة لأهم فرعٍ في دراسات ما بعد الحداثة، هو فرع دراسات (ما بعد الكولونيالية)، الذي يُعيد قراءة السرد الاحتلالي ويعمل على تفكيكه ومناهضته[٢].

ومن نقاد الحداثة ذوي الجذور العربية أيضًا، الناقد الفرنسي الشهير، أستاذَ الفلسفة في جامعة باريس الثامنة **(جان دانيال بن سعيد)**، الذي وُلد لأب وأم عربيين من مدينة البليدة الجزائرية، وبعد سفره إلى فرنسا انخرط بشكل مباشر في الحركة الحداثية، حتى أصبح أحد أهم المؤثرين في خط الحداثة الفرنسية

(١) لترجمته يُنظر: تعقيبات على الاستشراق، إدوارد سعيد، تر: صبحي حديدي، ص١٥٨ – ١٥٩، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.

(٢) يُنظر: ما بعد الكولونيالية: مفهومها أعلامها أطروحاتها، مديحه عتيق، ص٢٢٧، مجلة دراسات وأبحاث، ع: ١٨، جامعة الجلفة، الجزائر، ٢٠١٥م.

المتصل بالفلسفة الماركسية [١]، بشكل أهَّله لأن يُوصف بأنه "مُثقف فرنسا الماركسي الأول"[٢].

٢-**<u>نقاد حداثيون ولدوا فوق الأرض العربية</u>**: وفيها قضوا طفولتهم وشبابهم، متأثرين أبلغ الأثر بالثقافة وبالتقاليد العربية المحيطة بهم من كل جانب، من هؤلاء الناقد والروائي **(ألبير كامو)** المولود في قرية الذرعان الجزائرية؛ من أبٍ فرنسي وأم إسبانية، الحاصل على جائزة (نوبل) في الآداب. وقد ارتبط اسمه بالحركة الحداثية من خلال فلسفته العبثية، التي يمكن تلمس ملامح الاتصال بينها وبين أفكار مرحلة ما بعد الحداثة على وجه الخصوص، في كتابيه: (أسطورة سيزيف)، و(المتمرد)[٣].

وقد شهدت الجزائر أيضًا عام ١٩٣٠م، مولد **(جاك دريدا)** أشهر فلاسفة النقد الحداثي وما بعده، وأستاذ الفلسفة في جامعة السوربون الفرنسية. وترجع شهرته الساحقة إلى تأسيسه للمنهج التفكيكي، وحديثه عن جملة تصورات معرفية جديدة مُعتمدة على اللامركزية وانتفاء المرجعية، وقد مثَّلا كتاباه: (في علم الكتابة)، و(الكتابة والاختلاف)، تفكيكًا للأسس العقلية والفكرية التي قامت عليها جملة النظريات الغربية في عددٍ من المجالات الفلسفية والنقدية والمعرفية[٤].

---

(١) الصحافي الفرنسي جان دانيال: قرن من الإبداع، ميشال أبو نجم، صحيفة الشرق الأوسط، ٢٠٢٠م، رابط: https://aawsat.com.

(٢) دانيال بن سعيد، أميرة فكري، موقع: البوابة نيوز، ٢٠٢٢م، رابط: www.albawabhnews.

(٣) يُنظر: ألبير كامو، أوليفر جلوج، تر: مؤمن محمود، ص١٣وما بعدها، مؤسسة هنداوي، القاهرة، ٢٠٢٢م.

(٤) للمزيد يُنظر: دريدا عربيًا، محمد البنكي، ص٧٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٥م.

ومِثْلَ (دريدا)، ولدت أيضًا الناقدة الشهيرة **(هيلين ساكسو)**[١] على الثرى الجزائري، وتزاملت مع (دريدا) في الدراسة، ثم سافرت مثله إلى فرنسا لتشغل مكانة مرموقة في عدد من الأكاديميات العلمية، مثل: (جامعة باريس الثامنة)، و(كلية الدراسات العليا السويسرية) وغيرهما، وتُعد مقالتها الشهيرة (ضحكة ميدوزا)[٢] إحدى العلامات البارزة في النظرة النِسوية ما بعد الحداثية. ويرصد أحد الباحثين معالم التأثير العربي على فكر (هيلين) وزميل دراستها (دريدا) فيقول: "إن مفهوم الاختلاف ومفهوم الغيرية عند كل من جاك دريدا وهيلين ساكسو ليسا فقط نتاجًا لتجربتيهما المعرفيتين الأكاديميتين داخل الفضاء الفلسفي والأدبي الفرنسي/ الغربي، إنما هو نتاج أيضا لسنوات التكوين الأولى في الجزائر"[٣].

وتشمل قائمة نقاد الحداثة الذين ولدوا في الجزائر كذلك، الناقد البنيوي الشهير **(لوي ألتوسير)**، الذي أحدث دويًا في الحركة الحداثية بإعادته قراءة الفلسفة الماركسية من منظور بنيوي، وقد أشار (ألتوسير) إلى مسببات هذه القراءة وعوامل تخلقها في سيرته الذاتية التي خصص جانبًا منها للحديث عن ذكريات طفولته وصباه فوق الأرض الجزائرية، وأثرُ هذا المحيط العربي في تشكيل رؤيته ومنزعه النقدي[٤].

---

(١) لترجمتها يُنظر: موسوعة أدباء العالم في القرن الـ٢١، محمود قاسم، ٤٩٧/١-٤٩٨، الناشر: (E-Kutub Ltd)، لندن، ط١، ٢٠١٨م.

(٢) للمزيد يُنظر: النظرية النِّسوية (مُقتطفات مُختارة)، ويندي كيه، فرانسيس بارتكوفيسكي، تر: عماد إبراهيم، ص٢١٣، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، ط١، ٢٠١٠م.

(٣) مُقاربة أولية لمساهمة علاقات الاستعمار وما بعد الاستعمار في تشكيل فكر (ما بعد الحداثة) في فرنسا)، أزواج عمر، ص٤٧٢، قضايا فكرية، الكتاب التاسع عشر والعشرون، القاهرة، ١٩٩٩م.

(٤) يُنظر: المُستقبل يدوم طويلًا (سيرة ذاتية)، لوي ألتوسير، تر: كاميليا صبحي، ص٥ وما بعدها، أوراق فلسفية، ع٣٢، كرسي اليونسكو للفلسفة فرع جامعة الزقازيق، ٢٠١٢م.

ومن جملة نقاد الحداثة الذين ولدوا فوق الأرض العربية، الناقد الحداثي **(بول بنيشو)** المولود في (تلمسان) الجزائرية عام ١٩٠٨م، الذي يُعد "أحد كبار النقاد الفرنسيين في القرن العشرين. ولكن الشهرة في العالم العربي ذهبت إلى رولان بارت وغطت عليه بل طمسته كلياً. وهذا ظلم كبير في الواقع...لأن مؤلفات بول بنيشو لا تقل أهمية عن مؤلفات رولان بارت هذا إن لم تزد فيما يخص شرح كيفية ولادة الحداثة وانتصارها على القدامة"(١).

وهذه الأسماء النقدية اللامعة –على خطرها ومنزلتها في حقل النقد الحداثي وما بعده– أمثلة مُوجزة تُدعِّم فكرة الباحث التي تؤكد على أن مناهج الحداثة وما بعدها مدينة للوطن العربي الذي احتضن هذا الجيل من النقاد، وصبغهم بصبغته الخالصة التي ظلت أواصرها ممتدة على طول السنين.

بل إن بعض أفراد هذا الجيل –الأوربي الجذور العربي الهوى– قد أظهر لهذه الأرض المُباركة من التضحية أكثر مما أظهر لها عدد كبير من أبنائها المُعرقين في العروبة!، ولعل حادثة الجندي الفرنسي (هنري مايو) المولود في الجزائر، الذي تمرد على وطنه الأم فرنسا، وأوصل –من خلال عمله العسكري– شاحنة مليئة بالسلاح والعتاد لمجاهدي التحرير الجزائريين خير مثال على ذلك، وقد برر (مايو) خطوته الشجاعة تلك في رسالة بعث بها إلى الصحف، يقول فيها: "لست مُسلمًا، ولكنني جزائري من أصول أوروبية، أعتبر الجزائر وطني، وعليَّ أن أقوم نحوه بكافة واجباتي كباقي أبناء الجزائر"(٢)، وفي طيات هذه الحادثة المبهرة خير ردٍ على كلِّ من يدَّعي أن وجود هذا الجيل على التراب العربي كان وجودًا عابرًا لا يُمكن البناء عليه.

---

(١) كيف انتصر المثقف التنويري على المثقف الأصولي في فرنسا؟، هاشم صالح، جريدة الشرق الأوسط، ٢٠٢٢م، رابط: aawsat.com. (بتصرف)

(٢) إحياء الذكرى (٦٤) لاغتيال صديق الثورة الجزائرية هنري مايو، موقع: المتحف الجهوي للمجاهد، الجزائر، رابط: www.museeto.dz. (د.ت)

٣-**<u>نقاد حداثيون مارسوا العمل على الثرى العربي</u>**، إمَّا من خلال العمل العسكري، أو من خلال العمل في المدارس والجامعات العربية. ومن أشهر من انتظموا في <u>العمل ضمن القوات العسكرية</u>، الناقد الحداثي وعالم الاجتماع الفرنسي: **(فرانز فانون)** الذي عمل طبيبًا مع قوات الجيش الفرنسي في الجزائر، لكنه استقال وانضم إلى مقاتلي حركة التحرير، "وبدءًا من عام ١٩٥٩م، عينته جبهة التحرير الوطني كسفير متنقل يمثل الحكومة"[١]. ويُعد (فانون) واضع بذرة الدراسات المُناهضة للهيمنة الغربية[٢] التي ظهر لها بعد ذلك أثر كبير في دراسة (إدوارد سعيد) عن الاستشراق، و(جاياتري سبيفاك) في دراساتها عن التابعين[٣].

ومِثْلَ (فانون) ممن خدموا في صفوف الجيش الفرنسي -لكن خطهم الثقافي كان مُناقضًا لممارسات الاحتلال على طول الخط- الناقد والفيلسوف الفرنسي **(جاك بورديو)**، الذي أمدته الحالة الجزائرية بالعديد من الرؤى والأفكار النقدية التي شكَّلت أغلب إبداعه الحداثي وطبعته بطابع البحث المعمق، بحيث يُمكن القول إن "معظم أعمال جاك بورديو الأساسية كانت نتاجًا لعلاقته بالمجتمع الجزائري بشكل عام، خاصة في كتابه (نزع الأصول-أزمة الفلاحة في الجزائر)"[٤].

---

(١) قصة حياة فرانز فانون، المصدر: دافيد ماسي، مجلة البيان الإماراتية ، ٢٠٠٦ م، رابط: www.albayan.ae.

(٢) يُنظر على سبيل المثال: معذبو الأرض، فرانز فانون، تر: سامي الدروبي وجمال الأتاسي، مدارات للأبحاث والنشر، القاهرة، ط٢ ، ٢٠١٥ م.

(٣) يُنظر: في نظرية الاستعمار وما بعد الاستعمار الأدبية، آنيا لومبا، تر: محمد عتيق، دار الحوار، سوريا، ٢٠٠٧م.

(٤) ما بعد الكولونيالية فيما بعد الحداثة (قراءة في المختبر الجزائري)، أحمد عبدالحليم، ص١٧٨، مجلة الاستغراب، ع: ١٢، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، العراق، ٢٠١٨م.

وكان مناط الاحتكاك الثاني بين أبرز نقاد الحداثة الوافدين على الأرض العربية، من خلال العمل في التدريس، كما في حالة الناقد الحداثي **(جان فرانسوا لوتار)** الذي عمل "مُعلمًا للفلسفة في ثانوية قسنطينة...شرق الجزائر...(قبل أن يعود) إلى باريس في ١٩٥٩ ليعمل مدرسًا مساعدًا بجامعة السوربون"(١)، وقد تمخضت تجربته فوق الأرض الجزائرية عن مولد أهم آثاره الفلسفية والفكرية والنقدية، وقد "خصص ليوتار عدة أعمال للحديث عن صِلته بالجزائر...وهو يوضح لنا أن دراسته لكارل ماركس ولتوما الإكويني قد تمت في الجزائر...وهو في أكثر من مكان يُعلن أن الجزائر قد علمته الشيء الكثير"(٢).

ولم تكن صلة هؤلاء النقاد بالأرض والمؤثرات العربية مُقتصرة على الجزائر وحسب، بل شهدت جارتها تونس استضافة **(ميشيل فوكو)** –أحد أهم نقاد ما بعد الحداثة– الذي لم يكتف بممارسة العمل مدرسًا للفلسفة في الجامعة التونسية، بل شارك أيضًا في دعم وتوجيه طلبته للثورة على النظام الفاشي الحاكم آنذاك(٣)، وانغمس حتى النخاع في تلك التجربة الحياتية المثيرة التي تركت عليه بصماتها، ولذلك فـ "القول بأن نظريات مشيل فوكو هي نتاج المرجعية الثقافية والسياسية والاجتماعية الفرنسية وحدها غير صحيح بالمرة، لأن ثمة عوامل أخرى مهمة مثل التجربة السياسية الفكرية التي عاشها فوكو...في الجامعة التونسية، وأثناء احتكاكه بالثورة التحريرية الجزائرية"(٤).

---

(١) جان فرانسوا ليوتار، تر: أمين حمزاوي، ص٤، موسوعة ستانفورد للفلسفة، الولايات المتحدة. (د.ت) (بتصرف)

(٢) ما بعد الكولونيالية فيما بعد الحداثة، أحمد عبدالحليم: ص١٧٩. (بتصرف)

(٣) يُنظر: اللحظة التونسية في فلسفة ميشيل فوكو، فتحي التريكي، ص٣٢٤، أعمال الندوة الفلسفية الثانية عشرة، جامعة القاهرة، ٢٠٠٠م.

(٤) ما بعد الكولونيالية فيما بعد الحداثة، أحمد عبدالحليم: ص١٧٣. (بتصرف)

ولم يتركز جانب الاحتكاك بين نقاد الحداثة وبين الأرض العربية في الشمال الإفريقي وحسب، بل امتد ذلك على طول خارطة الوطن العربي، فـ**(رولان بارت)** أيقونة المنهج البنيوي، ومُبتكر نظرية موت المؤلف الشهيرة، عَمِلَ مساعد أستاذ جامعي في جامعة الإسكندرية المصرية حوالى عام ١٩٤٩م[١]، وفي تلك الأثناء وجد المناخ مناسبًا للبدء في تأليف أحد أهم كتبه على الإطلاق: (الكتابة في درجة الصفر)[٢]، سيما بعد أن تلاقح فكريًا في جانب اللغويات الحديثة مع الناقد الحداثي (غريماس) الذي التقاه (بارت) في نفس الجامعة.

و**(ألخيرداس جوليان غريماس)** الذي وفد إلى مصر في نهاية الأربعينيات من القرن الماضي للعمل أستاذًا للأدب الفرنسي في جامعة الإسكندرية، هو مؤسس فرع السيمائيات البنيوية، ويعد صاحب أشهر أنموذج حداثي تحليلي على الإطلاق، وكان من آثار علاقته مع (رولان بارت) في مصر تأسيسهما معًا لإحدى أشهر المجلات المعنية بدراسات ما بعد الحداثة، المعروفة باسم (لغات)[٣].

٤-**<u>نقاد حداثيون انتموا للأرض العربية روحًا وهوى</u>**، وقد أدى هذا الانتماء إلى إحداث نقلة نوعية في إبداعهم النقدي، كما في حالة الناقد والفيلسوف الفرنسي الشهير **(جان بول سارتر)** صاحب كتاب: (عارنا في الجزائر). وقد أدى انغماسه في أحداث الثورة الجزائرية إلى تحول فلسفته "من

(١) يُنظر: رولان بارت، جوناثان كولر، تر: سامح فرج، ص١٧، مؤسسة هنداوي، القاهرة، ٢٠١٦م.

(٢) يُنظر: رولان بارت من الدرجة الصفر إلى لذة النص، حسن بحراوي، موقع الموجة، رابط: http://elmawja.com. (د.ت)

(٣) يُنظر: غريماس: ترسانة السيميائية، سعيد بنكراد، موقع: بالعربية، ٢٠١٩م، رابط: bilarabiya.net .

الفردية العدمية...إلى مرحلة جديدة...يهتم فيها كثيرًا بالآخر"[١]، ومن عباءة هذه المرحلة الجديدة خرجت العديد من المصطلحات (السارترية) التي تُمثل "جوهر نظرية النقد الحداثي أو القراءة الحداثية وما بعدها"[٢].

ومن ضمن من تأثروا بشكل بالغ بالأحداث العربية أيضًا، **(فرانسيس جانسون)** "الكاتب والفيلسوف الفرنسي الذائع الصيت، والأستاذ الجامعي الذي تخلى عن مهامه وتفرغ لخدمة ودعم الثورة الجزائرية داخل فرنسا"[٣]، وقد ظهر أثر الأزمة الجزائرية وما ارتبط بها من تحولات فكرية في عددٍ من مُؤلفاته من بينها كتاب: (الجزائر خارج القانون) الذي صدر عام ١٩٥٥م[٤]، وكذلك في المقالات الحداثية التي نشرها على صفحات مجلة (الأزمنة الحديثة) التي أسسها (جان بول سارتر) والتي كان يتولى (جانسون) إدارة تحريرها[٥].

ومن خلال تلك الأمثلة السابقة يظهر بشكلٍ جلي أننا لم نتوقف –حتى في أشد لحظات تاريخنا ضعفًا– عن الإسهام في الحركة النقدية الحداثية وما بعدها، إمَّا بشكلٍ مُباشر أو غير مُباشر، مما يُؤكد أن لنا في مدونة النقد الحداثي بصمة راسخة، تجعل استفادتنا من مناهجها ونظرياتها أمر طبعي وحق أصيل مُكتسب.

---

(١) ما بعد الكولونيالية فيما بعد الحداثة، أحمد عبدالحليم: ص١٦٧. (بتصرف)

(٢) سارتر وقضية الالتزام، أبو الحسن سلام، الحوار المُتمدِّن، ع: ٤٩٧٤، ٢٠١٥م، رابط: www.ahewar.org.

(٣) المثقفون الفرنسيون والثورة الجزائرية: فرانسيس جانسون نموذجًا، مقلاتي عبدالله، ص٢٣٣، مجلة المصادر، ع: ٢١ (السُداسي الأول)، المركز الوطني للدراسات والبحث، الجزائر، ٢٠١٠م.

(٤) يُنظر: المرجع السابق: ص٢٣٦.

(٥) يُنظر: مجلة الأزمنة الحديثة: الإنترنت يخنق روح (سارتر) للأبد، هايدي صبري، العين الإماراتية، ٢٠١٩م، رابط: https://al-ain.com.

ولعل معرفة هذا الحق ومطالبتنا الصريحة به، يُخرجانا من دائرة التبعية الصِرفة للفكر الغربي، ويجعل لنا حُجة –ولو ضعيفة– نحفظ بها ماء وجوهنا ونحن نستقي من بئر النقد العالمي، حتى يكون لنا مشربنا وموردنا الخاص المُعبر عن عقيدتنا وهُويتنا خير تعبير.

وفي هذا الصدد تتبقى جزئية أخيرة مهمة يَحْسُن بنا الالتفات إليها، هي أن الدعوة للأخذ من هذا المُحيط النقدي العالمي لا تعني أبدًا مسخ هُويتنا الفريدة، فقانون التبادل الثقافي الذي يقوم هذا النقد على ركيزته الأساسية، يعتمد هرمونية الأخذ والعطاء مع بقاء السمة المميِّزة لكل عنصر من عناصر تكوينه على فرادته دون السعي إلى مسخه أو تذويبه. وحول ذلك يقول الناقد العالمي (رنيه ويلك): إن "كل أمة على انفراد ضمن هذا المدى الرحب في الفكر الغربي الذي تأتيه تيارات متشابكة –تأتيه من روسيا والأمريكتين ومن إسبانية والدول الإسكندنافية– تحافظ بقوة على تقاليدها الخاصة بها في النقد الأدبي"[(١)]. ولو كان هذا النقد العالمي عبارة عن ثقب أسودٍ يبتلع بداخله جميع الأفكار والآراء والنظريات ويصبغها بظلاله القاتمة –كما يصوره البعض– لَمَا حفلَ به أحد، ولسارعت أمم الأرض قاطبة للنجاة من غوائله قبل أن نسمع عنه في محيطنا العربي.

ومع ذلك يجب ملاحظة أن هذا الجانب الإيجابي الناتج عن تجمع هذا الخليط النقدي العالمي، ربما كان له جانب آخر سلبي في نظر البعض؛ متمثلًا في الصعوبة التي ستنشأ مترافقة حتمًا مع ذلك التنوع الإقليمي والفكري الكبير الذي انبثقت عنه حركة النقد الحداثي وما بعدها، وتلك الإشكالية على وجه التحديد هي موطن اهتمام الخوَارَزْمية الثالثة من هذا البحث.

(١) مفاهيم نقدية، رينيه ويلك، تر: محمد عصفور، ص٣٩٠، سلسلة عالم المعرفة، رقم (١١٠)، المجلس الوطني للثقافة، الكويت، ١٩٧٨م.

**الخوَارَزمية الثالثة: لماذا نستشعر الصعوبة والتعقيد في محتوى هذه المناهج؟، وهل من سبيل لهضمها واستيعابها من خلال منهجٍ علمي موضوعي؟.**

لتقديم إجابةٍ واضحةٍ على هذا السؤال، يجب أن نفهم الفارق بين ما يُراد لنا أن نراه، وما هو كائن بالفعل على أرض الواقع. وإذا كانت مقولة القدماء تؤكد أن الإنسان عدو ما يجهل، فيجب أن نفهم أن هذا الجهل لا يُولِّد العداوة فحسب، بل يُضفي كذلك على الشيء المجهول صفات تهويلية تجعله أعقد من أن يُحيط بكُنهه إنسان. وهنا تظهر أهمية المعرفة التي تستطيع أن تكشف بضيائها هذه الظلال المُرعبة، وتحسر بوميضها هذه الانعكاسات الخاطئة، فتبدو الأشياء في حجم وشكل طبعي يمكن للعين أن تُحيط بها بيُسر وسهولة.

ولعل هذا الكلام ينطبق –أكثر ما ينطبق– على مناهج النقد الحداثية وما بعدها، فطالما يكتنفنا الجهل بها وبنظرياتها وبإجراءاتها النقدية وبأجهزتها المعرفية، فسوف تبقى في أعيننا غُولًا مُرعبًا، لكن مع أول قدم نضعها على جسر التواصل معها، سوف تتأكد لنا حقيقة أن هذه المناهج ليست مُعقدة ولا غائمة ولا مستحيلة الفهم، لكنها تعرضت للتشويه وللتعقيد عن عمد. ويمكن إرجاع ذلك التعقيد –في حدود ما وقف عليه الباحث– إلى **سبعة أسباب** رئيسة:

**السبب الأول:** مُخالفة سنن التلقي الطبعية لهذه المناهج الوافدة، فالإنسان يألف ما ينشأ أمام عينيه، ويفضل الأخذ بالجديد شيئًا فشيئًا، وذلك عكس ما حدث تمامًا في حالتنا هذه!، فقد "هجمت علينا المناهج الحداثية وما بعدها دفعة واحدة أواخر القرن العشرين: النقد الألسني، والأسلوبي، والبنيوي، والسيميائي، والتفكيكي.. إلخ. مما أشاع الاضطراب وعسر الهضم لدى نقادنا الذين استقبلوا هذه المناهج فاغري الأفواه، دون أن يُميزوا بينها"[١]. ولعل تلك الهجمة المُفاجئة

(١) النقاد العرب وتمثل النقد الحداثي، محمد عزام، موقع تربكافة (تربية وثقافة)، رابط: www.tarbikafa.com. (د.ت)

–التي لم يكن لهذه المناهج دخل فيها– هي التي جعلتنا نشعر أن ثمة خديعة في الأمر، وأن هناك محاولات حثيثة من قِبل العالم الغربي لزحزحتنا عن هُويتنا وثوابتنا الدينية وتقاليدنا المعرفية، وقد وَلَّد هذا الفعل التكاثري المتتابع لهذه المناهج بداخلنا ردة فعل مضادة، مُنحازة إلى دائرة التراث الذي نألفه –حتى لو لم تكن لنا به إحاطة كاملة– رافضة لكل وافدٍ جديدٍ نجهله، خصوصًا أن هذا الوافد الجديد يأتينا من لدن أعداء لا نشك لحظة واحدة في أنهم يتحركون وفق منظومة كراهية كبيرة تجاهنا، تحكم جميع تصرفاتهم وأقوالهم وأفعالهم وكل ما يصدر عنهم.

ومما زاد الأمر سوءًا أن عددًا كبيرًا ممن تبنوا هذه المناهج وروجوا لها كانوا مُتهمين في عقيدتهم الدينية وهويتهم الثقافية – كما في نموذج (أدونيس) ومعظم نقاد (مجلة شعر) اللبنانية على سبيل المثال[1]– ولم نُفرِّق نحن بين هذا النهج الملتوي ثقافيًا وعقديًا عند بعض هؤلاء، وبين مناهج النقد الغربية القائمة في مجملها على أُسس علمية يُمكن لنا الاستفادة منها والبناء عليها. وبدلًا من التوفر على دراسة هذه المناهج بعمق وروية، سارعنا إلى إظهار الرفض القاطع لها، ولِمَا تُمثِّله من فكرٍ وتجديدٍ مما وفَّر لأدعياء الحداثة فرصة ذهبية مكنتهم من احتكار النموذج الحداثي والتستر وراءه لتبرير منزعهم الإفسادي، وبدوا في هذا المشهد في صورة شهداء الفكر والرأي، بينما بدونا نحن في مشهد الطغاة، وفوَّتنا بذلك على أنفسنا فرصة ذهبية لكشف حقيقة هؤلاء الأدعياء –الذين لو لم يعثروا على جانب الهدم والتخريب في هذه المناهج الحداثية لاخترعوا ألف سبيل وسبيل سواه للتهجم على الثوابت– ولو أننا اتبعنا منهجًا علميًا يركز على القول لا القائل، ويبدأ بإظهار المحاسن قبل الالتفات إلى المثالب، ويبحث عن نقاط

(١) يُنظر: مجلة شعر– الجماعة والمشروع، حاتم الصكر، مجلة مجانين قصيدة النثر، رابط: https://5eecce1a223aa.site123.me. (د.ت). وللمزيد من التعرف على مواطن الشذوذ الفكري في تصور (أدونيس) عن مفهوم الحداثة وعلاقته بتراثنا العربي، يُنظر: الثابت والمتحول، أدونيس: ص٢٠.

الالتقاء قبل أن يُسارع لاقتناص جزئيات الافتراق، لأصبح لنا مع هذه المناهج قصة أخرى، ووقتها كانت كلمتنا الرافضة لمسلك أدعياء الحداثة، ولما يروجون له من نظرات هدامة ستصبح ذات قيمة عظمى، لأنها ستكون صادرة حينئذ عن فهم حقيقي، لا عن رفضٍ مُتحيزٍ مُتعجل يمكن تفسيره على أنه نابع من حماسة عمياء(١).

**السبب الثاني**: افتقادنا لنهجٍ ثقافي مُحايد في التلقي، قائم على أسس علمية وموضوعية، يعتمد مبدأ التكامل تحت مظلة عمل جماعي متضافر الأجزاء، بحيث يكون مستعدًا على الدوام لمجابهة كل جديدٍ والنظر في أمره من ناحية تحقق النفع أو الضرر. وبسبب غياب هذا النهج، وُكِلَ أمر هذه المناهج النقدية الوافدة إلى الجهود الفردية –بغض النظر عن إمكاناتها العلمية وأهدافها الشخصية– فأدت تلك العشوائية في التلقي والتعامل إلى تكاثر الجهات الناقلة والمقتبِسة والمترْجِمة لهذه المناهج النقدية دون خُطة واضحة، "مطابع تدفع، ورؤوس تبلع، وأقلام تنطلق فيما تعرف ومالا تعرف"(٢). وفي المقابل، اكتفى نُقادنا ومثقفونا بالتجاهل، أو اندفعوا للهجوم الفوري بلا تبصر أو تمهل، بينما وقف أعقلهم موقف الشاك المُستريب كأن أمر هذه الكارثة الثقافية لا يعنيه، حتى إذا اضطر إلى التعرض لهذه المناهج الحداثية وما بعدها، فإنما هو تعرض المُضطر المُكره الذي يكتفي بإبراز ما في المُكون الحداثي من جوانب سلبية لا

(١) لعل خير مثال على ذلك، التجربة المعرفية للعالم الراحل الدكتور (عبدالوهاب المسيري) –رحمه الله– الذي لم يكتف بنقض الحداثة من خارجها، بل تعمق داخل النموذج الحداثي الغربي –مُتسلحًا بعقيدة ثابتة وهُوية لا تتزحزح– فأشاد بما يستحق الإشادة فيه، ونقض الكثير من جوانبه التي تستحق النقض، فأكسبته تلك الموضوعية احترامًا متزايدًا من ألد أعدائه الحداثيين أنفسهم.

(٢) التركيب اللغوي للأدب، لطفي عبد البديع، ص٥، دار المريخ للنشر، الرياض، ١٩٨٩م.

يخلو منها جهد بشري[١].

**السبب الثالث**: انعدام الثقافة أو محدوديتها عند عددٍ كبيرٍ ممن تعرضوا لهذه المناهج بالدرس والتحليل، مما أدى إلى عجزهم عن فهمها وتمثلها، أعني الثقافة بمعناها الشامل المنفتح على كافة الأفكار والآراء والتصورات مهما بلغت من الجدة والغرابة. ومحدودية الثقافة أمر يتنافى بشكل قطعي مع طبيعة الأدب عمومًا[٢]، وبالأخص مع طبيعة هذه المناهج الحداثية القائمة على التجاوز والتجديد، و"التطور المعرفي...النقدي في ضوء مفهومي التراكم والتكامل...فالمناهج لا تموت ولكنها تُتَجاوز وتُبعث في مناهج أخرى، ومجموع هذه المناهج والاتجاهات هو ما يشكل النظرية النقدية العالمية الحديثة"[٣]، وبدون ثقافة شاملة، ورؤية فكرية مُتَّسعة، لا يمكن فهم تراتبية هذه المناهج، أو توظيفها ضمن إطارها التطوري الصحيح، أو التعامل معها بوصفها معبرة عن طبيعة العصر وعاكسة لمستجداته وأحداثه.

---

(١) أتخيل لو أن ناقدًا مثل الدكتور (عبدالعزيز حمودة) (١٩٣٧م – ٢٠٠٦م) –أستاذ الأدب الإنجليزي بجامعة القاهرة– الذي يُعد أشهر من تعرض بالثلب والنقض لمناهج الحداثة في ثُلاثيته المعروفة: المرايا المُحدَّبة (١٩٩٨م)، المرايا المُقعَّرة (٢٠٠١م)، والخروج من التيه (٢٠٠٣م)، أتخيل لو أنه قد بذل ذلك الجهد الكبير في تبسيط هذه المناهج النقدية، وشرْحِها، وتبويبها، والنقل عن مصادرها الأصيلة، وتجنيبنا مغبة اللهاث وراء تراجم مُعقَّدة وسيطة، أو مُؤلِّفين مُغرمين بالترميز والتعقيد، لو أنه صرف جهده لتلك الجهة –وكان في استطاعته تحقيق ذلك بحكم تخصصه الأكاديمي– لقدَّم خدمة لا تُنسى للنقد العربي الحديث، ولكان جديرًا بأن يُوضع اسمه في مصاف المُجدِّدين العظماء.

(٢) يقول (ابن قتيبة): "من أراد أن يكون عالمًا فليطلب فنًا واحدًا، ومن أراد أن يكون أديبًا فليتفنن في العلوم". العِقد الفريد، ابن عبد ربه، تح: مفيد قميحة، ٧٨/٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٣م.

(٣) دليل النظرية النقدية المعاصرة، بسَّام قطّوس: ص١٨–١٩. (بتصرف)

**السبب الرابع:** وقوع النقد الغربي/العالمي، فريسة لعدد من المنغلقين ثقافيًا[١] –من المُختصين ومن غير المُختصين– كل فكرتهم عنه أنه "إهدار وهدم لكل ما هو مقدس ومجمع عليه،...(و) عبث وكفر وإلحاد لبس ثوب النقد، (وأنه) يأخذ عدة ملامح لا تؤهله مُطلقًا إلى أن يغدو منهجًا نقديًا يُقره العلم ويعترف به العقل، وترضاه الأمة المسلمة ذات الدين واليقين"[٢]!، إلى آخر هذه الاتهامات غير الموضوعية التي عملت جاهدة على إقامة موانع ذاتية بيننا وبين قبول هذا النقد الحداثي والانفتاح عليه.

ولم تُفرِّق هذه العقول بين النظرية الفلسفية الغربية التي تخضع للمُساءلة والرد والنقض –بل والترك– في حال مخالفتها لصحيح الدين، وبين بقية مشتملات هذه المناهج النقدية القائمة على أُسس علمية، يُمكن لنا الاستفادة منها على صورتها، أو إدخال بعض التعديلات البسيطة عليها، ومن ثَمَّ توظيفها لخدمة نقدنا العربي الحديث وترقية ثقافتنا الأدبية المُعاصرة.

ولأنه "لا يوجد ما هو أكثر صعوبة في الفكر والفن من عملية إعادة الاعتبار لمصطلح سيء السمعة"[٣]، فقد اضطُر المُنصفون في تلقيهم لهذه المناهج إلى تبديد غالب جهدهم، ليس في محاولة بسط هذه المناهج وتطبيقها على الإبداع العربي، بل في محاولات الرد على أولئك الذين يتشككون في كل ما

(١) يشتد البعض في رفض مناهج الحداثة وما بعدها، لغيرتهم الشديدة على التراث وخوفهم عليه، ومثل هؤلاء تُحمد لهم هذه الغيرة، ومن أجلهم كُتب هذا البحث لعله يُساهم في جعلهم ينظرون إلى الصورة من زاوية أوسع وأشمل، فجميعنا نخاف البحر، لكن قد نضطر إلى أن نركبه لتحقيق فائدة أكبر من كل خوف!.

(٢) منهج النقد الحداثي حقيقة أم أكذوبة؟، أحمد زايد، صيد الفوائد، رابط:saaid.org (د.ت) (بتصرف)

(٣) آباء الحداثة العربية، مُحيي الدين اللاذقاني، ص١١، دار مدارك للنشر، ط١، ٢٠٠٣م.

يقرؤون ويسمعون، فحالهم كما وصف الشاعر:(من البسيط)[1]

**وَمَوْجَةُ اَلنَّهْرِ فِي عَيْنِ اَلْجَبَانِ بِهَا . . حُوتٌ وَغُولٌ وَتِنِّينٌ وَتِمْسَاحُ**

**<u>السبب الخامس</u>:** رفض بعضنا القاطع لفكرة أن هذه المناهج النقدية تمتلك من الغنى النظري والتطبيقي –الناتج عن الإرفاد العالمي للعقول المختلفة التي أسهمت في تشكيلها– ما يجعلها إذا لاقت مادة غنية وافرة السعة مثل مادة الإبداع العربي أن تتآلف معه وتنسجم في مقاربات نقدية تحليلية تنقل نصوصه الإبداعية نقلة بعيدة، وتفتح أمامها من الآفاق مالم يكن يخطر مثله على البال أو يمر على الخيال. ولا يمكن لمثل هؤلاء أن يدركوا حجم الفرصة التي فشلوا في اغتنامها لتقديم إثبات إبداعي معاصر يُدلل على عظمة هذه اللغة وروعة ما أنتجته قرائح مبدعيها في مختلف فنون القول على مرِّ الزمان.

وفي الوقت الذي يَظن فيه أولئك أنهم يحافظون على هُويتهم وتفرد أدبهم باعتزال هذه المناهج العالمية، يفوتهم أنهم –بهذا المنطق– يعيشون مُكبَّلين بعقد النقص، وأنهم يجرون معهم أدبهم إلى تلك الهُوة العميقة. وإلا فلو كانت ثقتهم كاملة في أدبهم العربي، وفي القرائح الفذة العبقرية التي أبدعته، لما همهم أن يعرضوه على أي منهجٍ ليروا عما سيسفر عنه هذا العرض، سيما وقد نجح بعض نقاد الحداثة العرب بالفعل في تحقيق مقاربات حداثية فائقة الجودة لنصوص عربية مُغرقة في التراثية "وذلك بفضل أثر النظريات الحديثة في واقع قراءتهم...على سبيل المثال قراءة عبدالفتاح كليطو لـ(مقامات الحريري)...وهنا

(١) البيت لشاعر الإسلام محمد إقبال –رحمه الله– في كتاب: فلسفة إقبال والثقافة الإسلامية في الهند والباكستان، محمد حسن الأعظمي، الصاوي شعلان، ص٧١، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥٠م.

أتساءل: مَنْ مِنَ النقاد الذين يتمسكون بالتراث قدموا قراءة للمقامات في نَفْس عُمق ورُؤْيَة وَرَوْعَة كليطو"[١].

**السبب السادس:** افتقاد أكثرنا لمعرفة لغة ثانية[٢] يستطيع بواسطتها فهم هذه المناهج من منابعها الأصيلة، أو الاطلاع على نماذج تطبيقية غربية تتمثل هذه الرؤى الحداثية، مما نضطر معه إلى اللجوء لحل وسيط، يتمثل في الاعتماد على كتب أجنبية مُترجَمة، أو الاعتماد على كتب عربية قام بتأليفها نقاد عرب لهم خبرة بهذه المناهج. وبالنسبة للاحتمال الأول –**الكتب المُترجمة**– فنحن بإزائها أمام **ثلاثة أنواع:**

النوع الأول: كتب تَعمد إلى تفخيم المادة المُتَرْجَمة مهما كانت بسيطة، فيُخيل إلى القارئ أن الأشياء البدهية أشياء عظيمة، فيتهم عقله ويبدأ بالشك في

(١) الحداثيون أثروا التراث العربي: حوار مع جابر عصفور، أجراه: مصطفى سليم، وأحمد الدعدر، ص٥٨٨، مجلة فصول، ع: ١٠٧، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٢٢م. (بتصرف). وللمزيد يُنظر: الغائب (دراسة في مقامات الحريري)، عبدالفتاح كيليطو، دار توبقال، المغرب، ط٣، ٢٠٠٧م.

(٢) يؤسفني أن أوجه الدعوة للاهتمام بتعلم لغة أجنبية بجانب اللغة العربية الخالدة، لكن الواقع يشهد أن اللغات الأجنبية أضحت عصب الحياة المُعاصِرة عند فئة كبيرة من المسلمين!، بل إن مناهج مرحلة (رياض الأطفال) في بلادنا العربية، تبدأ بتعليم الصغار هذه اللغات الغربية قبل أن تعلمهم أقل القليل عن لغتهم الأصلية!، إذن فلا مجال للتشدق بشعارات زائفة أول من يُخالفها هم بعض الأمناء على اللغة العربية أنفسهم، حين يشترطون مثلًا للابتعاث –إلى الدول العربية قبل الدول الغربية– إجادة اللغة الإنجليزية!. والحل الوحيد للخلاص من هذا الوضع الثقافي المعكوس هو الانعتاق من التبعية للغرب، ولن يتأتى هذا قبل الإسراع في الاستفادة مما لدى الغرب من علوم، حتى نتمكن من مُجاراته ثم التفوق عليه، ووقتها وحسب سوف تتوقف اللغة العربية عن نعي نفسها بين أهلها –على حد قول شاعرنا الراحل (حافظ إبراهيم) (رحمه الله)–.

قدراتـه، ويستصـغر إمكاناتـه أمـام مـن يقـوم المتـرجِم بتصـويره علـى أنـه مفكـر عمـلاق، أو مـا يصـفه بأنـه حدث فكري عظيم. مـع أن المؤلِف الغربـي قد يكـون أقل من القارئ العربـي العـادي فكرًا وثقافـة، والموضـوع الـذي يتناولـه فـي مُؤلَّفـه الأصلي موضوع تقليدي لا يستحق كل هذه الضجة.

النوع الثاني: كتبٌ تتعمد عدم نقل المُحتوى بشكلٍ كاملٍ، بل يكتنز المترجم لنفسه جانبًا من المادة العلمية يعتاش عليه، ليبقى وحده المحيط بأُسس الموضوع الذي يَعرض لـه!، وهذا المكتَنز المخفي قد يكون جملًا وتمهيداتٍ بسيطة لكن بوسعها أن تفتح الآفاق أمام عقل القارئ للفهم والاستيعاب، مما يُعمق مفهوم التبعية والحاجة إلى الوساطة العقلية عند المُتلقي.

النـوع الثالـث: كتـبٌ ذات ترجمـة مغلوطـة، صـادرة عـن شـخصٍ غيـر مُتخصص لا توجد عنده إحاطة كافية بالمادة المُترجَمة، وبالتالي لا يستطيع أن ينقل إلينا الفكرة بشكل سليم. وفي ظل تردي المنتج الثقافي وسيطرة الرغبة في الكسب السريع على بعض المترجمين وبعض دور النشر، أصبح هذا واقعًا لا يمكن إنكاره، وأضحى هو العملة الزائفة السائدة أمام العملة القيمة الحقيقية، المتمثلة في عدد قليل من الترجمات الرصينة الصادرة عن مُترجمين مُقتدرين، وعن دور نشرٍ موثوقة.

وأمام تيار الترجمة المغلوطة، ينتقل القارئ إلى الحل التالي المُمَثَّل في نتاج المؤلفين العرب الذين كتبوا عن هذه المناهج الحداثية وما بعدها، وهم في الغالب لا يخرجون أيضًا عن **ثلاثة أنواع:**

النوع الأول: سدنة النقد الحداثي الذين احتكروا سلطة القول فيه والكتابة عنه، عن طريق استعمال لغة صعبة مُنفرِّة مُعقدة، محشوة بمصطلحات أكثر تعقيدًا، وعبارات مُضطربة التركيب، في إطار من "المُراوغة المقصودة والغموض

المُتعمَّد، مما جعل الحداثة في نهاية الأمر ناديًا لنخبة النخبة"[١]!. وإذا أُضيف إلى تلك الطلاسم اللغوية، الرسوم البيانية والأشكال الهندسية التي يعمد إلى استخدامها عدد من هؤلاء، تأكد لدى القارئ أنه أمام فكر مُشوَّشٍ مُضطرب لا يصلح إلا لمخاطبة نُزلاء المصحات العقلية، وهؤلاء الكُتَّاب الذين يُقدِّمون أنفسهم على أنهم أرباب "الحداثة العربية المعاصرة...أخطر عليها من أعدائها"[٢]، ومن هؤلاء اكتسبت الحداثة سمعتها السيئة.

النوع الثاني: الكارهون المبغضون لهذه المناهج، الذين يتصيدون الكتابة عن المتناقضات ومواطن الصعوبة فيها وبعض مكامن خلافها للمعتقد الإسلامي وللثقافة العربية، مع تعمد إظهار أسوأ نماذجها التطبيقية التحليلية، وغض الطرف عما قد يكون فيها من مواضع الحق والإفادة. ومثل هؤلاء لا يُعوَّل عليهم في شيء، لأنهم كالأعور الذي يعمى عن نصف الحقيقة، فلا يُعتمد عليه في هداية أو توصيف.

النوع الثالث: هم الذين حملوا على عاتقهم مُهمة شرح هذه المناهج، والخروج بها من دائرة التنظير إلى حيز التطبيق، لكن مشكلة هؤلاء أن أغلب كتاباتهم "تخاطب القارئ المُتخصص، المتمكن، ولا تخاطب الطالب المبتدئ المُتلهف لمعرفة الجديد قبل أن تتكامل خبرته بالقديم"[٣]، وكان بإمكانهم الجنوح إلى السهولة عن طريق تقديم المادة الحداثية في إطار من العرض التقليدي

(١) المرايا المُحدَّبة (من البنيوية إلى التفكيك)، عبدالعزيز حمودة: ص٦.

(٢) آباء الحداثة العربية، محيي الدين اللاذقاني، ص١٦، دار مدارك للنشر، ط١، ٢٠٠٣م. (بتصرف)

(٣) النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك، إبراهيم محمود خليل، ص٩، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمَّان، ط٤، ٢٠١١م.

كبداية[1]، أو يجعلوا مُكوناتها العلمية تتحلى بشيء من التشويق عن طريق دمج الدرس النقدي الحداثي مع تاريخ تشكله وتتبع لحظات ميلاده، وإبراز جملة الأحداث أو الشخصيات التي عاصرته وأسهمت في تخلقه. لكن على أية حال يبقى هؤلاء هم الأمل الأخير في إقامة جسور التواصل بيننا وبين النقد العالمي، إذا استطعنا تخليص كتبهم من جانب الصعوبة فيها، وتقديمها في ثوب جديدٍ مُبسط وسهل.

**السبب السابع:** ويتمثل في وضع العربة أمام الحصان، بمعنى مطالبتنا منذ الوهلة الأولى بخلق نظرية عربية تُشارك في هذا السباق النقدي العالمي، وتلك الجزئية بالذات تستدعي وقفة، لأنها قفز فوق جدار الوقت، والانسياق وراءها يدعو إلى اليأس والتخبط واستبطاء قطف الثمرة. كما أنها –فوق ذلك كله– مؤشر على عدم فهم طبيعة وماهية تلك النظريات النقدية العالمية وكيفية تخلقها وانبثاقها من ثنايا مهادٍ فلسفي، يقدمه أحد النقاد أو العلماء، ليجيء من بعده ناقد آخر ويصوغه في هيئة نظرية فلسفية، ثم يأتي ناقد ثالث ويضع لها أدواتًا إجرائية يمكن اعتمادها لتحليل النصوص الإبداعية من منظور تلك النظرية الفلسفية، ليبرز ناقد رابع ويضع لها جهازًا اصطلاحيًا ومفاهيميًا تتكيء عليه.

ثم يأتي بعد هؤلاء من يُلاحظ في ذلك الجهد البشري نقطة ضعف أو مجموعة نقاط، فيبدأ بإظهارها ليفتح بذلك الباب أمام ناقد سادس–قد يكون من جنسية مختلفة تمامًا أو حتى من جيلٍ تالٍ– ليقوم باقتراح نقاط تحسين لمواطن الضعف السابقة، ليبزغ نجم ناقد مُغاير تمامًا لسابقيه، فيأخذ تلك التعديلات إلى وجهة جديدة كليًا ويبلورها في شكل مفهوم معرفي جديد، أي على هيئة نظرية

(١) كما فعل على سبيل المثال، الناقد (وليد قصَّاب) في كتاب: مناهج النقد الأدبي الحديث (رؤية إسلامية)، دار الفكر، دمشق، ط٢، ٢٠٠٩م.

أدبية جديدة، ووقتها يظهر ناقد لمَّاح يحاول اختبار توافق هذه النظرية مع مبادئها في صورة منهج جديد مختلف، انبثاقًا من أن "المفهوم المعرفي المؤسِس للأدب هو النظرية، والمنهج النقدي هو الذي يختبر توافق هذه النظرية مع مبادئها"(١).

ومن خلال تتبع تلك الخطوات السابقة يمكن استنتاج أن "النظريات النقدية تأخذ طابع العالمية لأنها مجموع ما راكمته البشرية من مناهج واتجاهات في التنظير والتطبيق...ومن هنا نقول إنها عالمية لا تنتمي إلى وطن بعينه، بل هي تنتمي إلى الحضارة الكونية، بينما نقد كل أمة أو بلد ناطق بلغته ينتمي إلى ثقافته"(٢). ولهؤلاء الذين يغفلون عن هذه الملحوظة نتوجه بسؤال: "هل توجد نظرية نقدية صينية أو انجليزية أو أمريكية؟"(٣)، قطعًا لا، لهذا "لم نسمع أو نقرأ عن نظريات النقد عامة أنها صُنفت على دولة ما، أو مكان معين، وإنما يحضر صاحبها مُلاصقًا لها...(و) لا نقول هذه نظرية فرنسية أو أمريكية أو إنجليزية، إلا إذا خرجت من المؤسسات الأكاديمية، لما لها من إطارٍ علمي يخص حقوق الجامعات والمعاهد والمؤسسات الأكاديمية"(٤).

وفي ذلك التوضيح رد على كل من يُثير إشكالية غياب النظرية العربية عن الساحة العالمية النقدية، ويتخذ منها حجة يصرف من خلالها النقاد العرب عن الاهتمام بهذه المناهج، وفيه أيضًا دعوة لاستبدال هذا الطرح الإقصائي بطرح أكثر تجاوبًا، يستوعب النظرية النقدية العالمية، ويبذل جهده للمشاركة

(١) مناهج النقد المعاصر، صلاح فضل: ص١٢.

(٢) دليل النظرية النقدية المعاصرة، بسَّام قطّوس: ص١٥. (بتصرف)

(٣) المرجع السابق: ص١٤.

(٤) هل نحن بحاجة إلى نظرية نقدية عربية؟، فهد حسين، نشرة التقدمي، مملكة البحرين، ٢٠٢٢م. رابط: altaqadomibulletin.com . (بتصرف)

الفاعلة فيها وتوجيهها وجهة صائبة، على نحو ما يلفتنا إليه الناقد الراحل (جابر عصفور) حين يقول: من "الخطأ أن أُطالب بنظرية إسلامية أو عربية، إنما نريد أن نقول إننا نريد إسهامًا عربيًا داخل النظرية. وفيما يتصل بالإسهام العربي في هذه النظريات المتعددة الجنسيات...لا نستطيع أن ننسى إنجاز إدوارد سعيد (الذي) أصبح جزءًا من النظرية فيما بعد البنيوية"(١). إذن فباستطاعتنا –نحن العرب والمسلمون– تحقيق إنجاز فاعل ومؤثر في النظرية النقدية العالمية، إذا استطعنا تجاوز الحاجز النفسي الذي يفصل بيننا وبين الغرب، وتوقفنا عن رمق أنفسنا بنظرة دونية، واعتمدنا خطة عملية واضحة المسار يمكن من خلالها رتق الفجوة المعرفية بيننا وبين العالَم الغربي على مستوى التناول النقدي.

وإذا كان هذا البحث المتواضع، قد جاهد منذ بدايته محاولًا تقديم رؤية متوازنة، فإنه ينحو في نهايته منحى اقتراح بعض التوصيات التي يُمكن البناء عليها لتحقيق تلك النهضة النقدية المرجوة، ويمكن بلورة هذه المقترحات في النقاط التالية:

١–**<u>حسم قضية الأصالة والمعاصرة</u>**، بضرورة معرفة التراث الأساسي، والإحاطة بمناهج النقد الحداثية وما بعدها على المستوى العام، وغلق باب النقاش الذي يحاول أن يُقصي أحد النموذجين لحساب الآخر، فبدون كلا الجناحين: التراثي والحداثي، لا يمكن لطائر المعرفة أن يحلق نحو آفاق المستقبل، ولنا في التجربة اليابانية خير مثال، حين رفعت في بداية نهضتها شعار: "التقنية الغربية والروح اليابانية"(٢).

(١) الحداثيون أثروا التراث العربي، حوار مع جابر عصفور: ص٥٨٩. (بتصرف)

(٢) النظام السياسي والسياسة الخارجية اليابانية المُعاصرة، وليم أشعيا، ص٢٢، رسالة ماجستير، كلية القانون والسياسة، الأكاديمية العربية المفتوحة، الدنمارك، ٢٠٠٨م.

٢-**حسم قضية الهُوية الثقافية والدينية**، فنحن أصحاب عقيدة لا تسمح لنا بالذوبان في الآخر، وهذه العقيدة نفسها تحثنا على ابتغاء العلم والحكمة عند من توجدان عنده، وتطالبنا بالسبق في كافة جوانب الحياة، وليست مناهج النقد الحداثية وما بعدها إلا إحدى هذه الجوانب، وليكن شعارنا الذي نرفعه في مجابهة تلك المناهج وهذه النظريات أننا {أُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ}(١).

٣-**حسم قضية السبق الغربي**، فهو أمر معلوم، يجب تقبله باعتبار أن الأيام يداولها الله بين الناس، وفقا للسنن الكونية التي أودعها في الأرض، لكن هذا السبق لا يجب أن يُقعدنا عن محاولة اللحاق بالعالَم الغربي بل وتجاوزه، لأنه مدينٌ لنا فيما وصل إليه من معرفة وتقدم، ولا تثريب علينا لو استعنا بتفوقه في الجانب النقدي -إلى حين- خصوصًا وقد ثبت أن لنا حقًا ونصيبًا في هذا التفوق.

٤- **إخراج فكرة التقوقع والاكتفاء الذاتي من عقولنا**، والتيقن من أن درسنا النقدي بحاجة إلى هبوب رياح جديدة تُخرجه من قيد الموضوعات الميتة التي تخنق أنفاسه، وإذا كان العالَم كله يفتح نوافذه على حدائق النقد الحداثية ليقتطف منها نسمات تُعيد إلى درسه النقدي أجواء الربيع الغض، فلماذا نوصد نحن دونها الأبواب؟، "والعجب ممن...إذا قيل لهم: إن...علم الأدب لم يعد يُغنيه إجراء التشبيه والاستعارة، والإلمام بكلام ابن قدامة وابن رشيق، قالوا: العربية وعلومها من واد آخر، ولا يجري عليها ما يجري على سواها من علوم الأمم الأخرى ونظرياتها"(٢)!، إلى آخر هذه المُغالطات.

---

(١) سورة النمل: من الآية (٤٢) .

(٢) التركيب اللغوي للأدب، لطفي عبد البديع: ص٧. (بتصرف)

وهذا الكلام إن كان يُتوقع صدوره من إنسان عاش طوال حياته في قُمقُم التوحد والانعزالية، فلا يُتصور أبدًا أن يصدر عن مسلم يعتنق عقيدة عالمية تزرع في خلده أنه المُستخلف على كل هذا الكون، ومن هذا المنطلق أُكرر وأُعيد القول "إن قبول الحداثة لا يعني في حالٍ من الأحوال رفض التراث أو القطيعة مع الماضي، إنما يعني الارتقاء والارتفاع بطريقة التعامل مع تراثنا إلى المعاصرة، وهذا يعني أن نكون فاعلين في الحداثة، لا منفعلين فيها، كما يعني خلق نص حداثي يحمل كثيرًا من خبايا الإبداع والجمال والسحر، انطلاقًا من النص التراثي والموروث التاريخي"(١).

٥-**<u>عدم الخلط بين من يبتغي المشاركة الفعالة في نقل جوانب الحداثة الإيجابية للاستفادة منها، وبين من يركب الموجة ليطفو على سطحها كالزبد</u>**، ووضع حدود فاصلة بين الفريقين من خلال التأكيد على أن "العلم تحقيق، لا تلفيق كتلفيق حاطب الليل يخالف بين عبد القاهر وكروتشه، أو بينه وبين سوسير، فيضع قبعة هذا على رأس ذاك، ويثبت عمامة ذاك على رأس هذا، ويقول للأول: كن كروتشه، وللثاني: وأنت، كن عبد القاهر"(٢)، بل نؤكد ما ذهب إليه شيخ الأزهر الشريف الدكتور (أحمد الطيب)؛ من أن التجديد الذي نطمح إلى رؤيته متحققًا في مختلف المجالات العلمية، وفي القلب منها مجال الدرس النقدي والأدبي "لا يُحسنه إلا عَالِم ثابت القدمين في دراسة المنقول والمعقول، فاهم لطبيعة التراث المُعَقَّد، مدرك لطبيعة المناهج وأدوات التحليل

(١) الحداثة والتجديد في التراث العربي، محمد الحوراني، ص٦، مجلة التراث العربي، ع: ١٦٨، اتحاد الكُتَّاب العرب، ٢٠٢٣م.

(٢) التركيب اللغوي للأدب، لطفي عبد البديع: ص٦.

الفكري المستخدمة في البحث والتقصي"[١]، وكلها شروط رئيسة لا غنى عن تحققها في كل من يتصدى لهذه المهمة الجسيمة.

٦-**الاجتهاد في معرفة اللغة الإنجليزية**، إمَّا بشكل تفصيلي عن طريق الدراسة المنهجية، وإمَّا بشكل عام وتدريجي من خلال معرفة المصطلحات النقدية الغربية واستعمالها كما هي في لغتها الأصيلة دون تعريبها، فهذا سوف يكسر رهاب المصطلحات بداخلنا من ناحية، وسيوقفنا –من ناحية ثانية– على الإطار الثقافي العام الذي تشكلت بداخله هذه المصطلحات، مما سوف يُسهم بشكل كبير في إذابة جبل الجليد الذي يفصل بيننا وبينها.

٧- **اعتماد منهج موضوعي في دراسة وتلقي المناهج الغربية**، والصبر على الإحاطة بخريطة النقد الغربي منذ بدايته حتى وقتنا هذا، دون التركيز على جزئية معينة، ولتكن خطوة البداية هي الانتقال من الإيجاز إلى الإسهاب، ومن الجزء إلى الكل. بمعنى أن يُحيط ذهن الدارس في البداية بالتقسيم العام لمناهج النقد الغربي من جهة كونها تنقسم إلى مناهج قديمة، مناهج كلاسيكية، مناهج حديثة، مناهج حداثية، ومناهج ما بعد حداثية. وليضع تحت كل قسم من هذه الأقسام المناهج المندرجة فيه مع وضع تطبيقات له. ثم في الخطوة التالية يوسع الدائرة بشكل أكبر قليلًا من خلال تقسيم هذه المناهج والنظريات، إلى "نظريات عنيت بالشكل أو صرفت عنايتها إلى المضمون، أو نظريات دعت إلى غلق النص على حساب القارئ، أو دعت إلى فتح النص ومنح القارئ حرية التلقي، أو توسطت بين هذا وذاك، وما عدا ذلك فهو تنويعات على النظرية"[٢]. ومن خلال تلك الخرائط الذهنية

(١) التراث والتجديد، أحمد الطيب: ص١٠٤.

(٢) دليل النظرية النقدية المعاصرة، بسَّام قطّوس: ص١٧.

المنطقية يُمكن للباحث التعمق شيئًا فشيئًا في فهم دقائق هذه المناهج الغربية.

٨-**وضع خطه أكاديمية يمكن اعتمادها على مستوى الجامعات المصرية والعربية**، تفتح الباب بشكلٍ منهجي أمام هذه المناهج، وتصحح وضعية التلقي الخاطئة لها. ويمتلك الباحث تصورًا مُتواضعًا لماهية هذه الخطة، يمكن تحديده في ثلاث خطواتٍ رئيسة:

**الخطوة الأولى**: اختيار بعض النماذج البشرية صاحبة العزيمة، ممن يُتفرس فيهم صحة المعتقد وثباته، والاعتداد بالهُوية العربية والرؤية التراثية، ويتم هذا الاختيار عن طريق اختبارات موضوعية ومقابلات شخصية يُعدها أهل الاختصاص، يتم بعدها تهيئة الذين وقع عليهم الاختيار النهائي نفسيًا وعلميًا من أجل مهمة تغيير الواقع النقدي المتردي.

**الخطوة الثانية**: وضع جدول زمني لتحقيق تلك الغاية في مدة لا تتجاوز سبع سنوات، يُخصص منها عامان للتوفر على دراسة التراث العربي والإحاطة بدقائقه، مع الوقوف على نقاط التماس بينه وبين الآداب العالمية المُتزامنة معه في الحقب التاريخية المختلفة. ثم يُخصص بعد ذلك عامان آخران لإجادة واحدة من ثلاث لغات غربية تَمثَّل فيها أغلب الجهد النقدي الحداثي وما بعد الحداثي، هي: الإنجليزية، الفرنسية، والألمانية. يتلو ذلك تخصيص الأعوام الثلاثة الباقية لدراسة مناهج النقد الحداثية وما بعدها، والاطلاع عليها في منابعها الأصيلة، ثم ترجمة ذلك بشكل منهجي تكاملي إلى اللغة العربية.

**الخطوة الثالثة**: يتم توظيف جهد هذا الفريق بعد انتهاء مهمته الرئيسة في أربعة جوانب:

-الجانب الأول: نشر الثقافة النقدية في ربوع الجامعة، بداية من تعليم المتخصصين كيفية اعتماد التفكير الناقد بوصفه ركيزة من ركائز البحث العلمي، وانتهاءً بنقل مناهج النقد الحداثي وتوطينها في التخصصات الأكاديمية المختلفة.

-الجانب الثاني: تبسيط المناهج والنظريات النقدية وشرحها بشكل موجز ومسهب، مع وضع خُطة لإعادة النظر فيما يُدرَّس لطلبة الدراسات العليا، وما يتم اقتراحه من موضوعات للتسجيل لدرجتي الماجستير والدكتوراه.

-الجانب الثالث: وضع مناهج جديدة لدرس النقد الأدبي، تتمثل في تنخل الكتب الموجودة واعتماد الصالح منها، وإضافة بعض المناهج الدراسية التي تتناول مناهج النقد الحداثي ونظرياته، في شكليهما النظري والتطبيقي.

-الجانب الرابع: نقل هذه التجربة المعرفية إلى العاملين بالميادين كافة داخل الجامعة وخارجها، من خلال الدورات وورش العمل المختلفة المُنعقدة تحت مظلة الجامعة، وباسم مركز علمي يتم إنشاؤه لهذا الغرض، وبمساعدة موقع إلكتروني يُخصص لتلك الغاية(١)، على أن تُعمم هذه التجربة بعد ذلك على كافة القطاعات التخصصية الأخرى، لنحقق -في خلال مدة وجيزة- وثبة علمية تُمكننا من أن نخلق غدنا الذي نفرض من خلاله شروطنا على الحياة، ونجد فيه أمننا العقدي، وسلامنا الفكري، ويقيننا الثقافي والنقدي.

---

(١) يأمل الباحث أن تجد هذه المقترحات العملية سبيلها إلى القائمين على الأمر في جامعة الأزهر الذي يعتز الباحث أيما اعتزاز بالانتماء إليها، خصوصًا وأن الجامعة قد قطعت بالفعل شوطًا في طريق الأخذ بأسباب الحداثة الراشدة تحت مظلة (كلية الدراسات العليا) بجهد مبارك من عميدها أ.د/ (عبدالله سرحان)، ورئيس قطاع اللغة العربية أ.د/ (يوسف عبدالوهاب)، ورئيس قسم الأدب والنقد أ.د/ (صبري أبوحسين)، ومن السادة أعضاء مجلس قسم الأدب والنقد الذين شاركوا في تطوير مقرراتها النقدية المُخصصة لطلبة الدراسات العليا. (يُنظر: توصيف مقررات قطاع اللغة العربية، كلية الدراسات العليا، جامعة الأزهر، ٢٠١٦م). كما أخذت الجامعة خطوة إضافية نحو تقريب مناهج النقد الحداثية وما بعدها لطلبة مرحلة (الليسانس) تخصص اللغة العربية، من خلال مُقرر: (النقد الأدبي الحديث قضاياه ومناهجه)، للعام الجامعي ٢٠٢٣/٢٠٢٤م، خصوصًا القسم الثاني منه، الذي قدمه أ.د/ (ضياء حمودة)، ص٧٣ وما بعدها.

## الخاتمة

في نهاية هذه الخوارَزمات النقدية الثلاث، التي ناقشت الموقف من قضية التراث ومن قضية الهُوية، وأكدت على الحق الذي نملك بموجبه المطالبة بنصيبنا من مناهج الحداثة وما بعدها، يجدد الباحث الدعوة للانفتاح الموضوعي والمتوازن على هذه المناهج والنظريات، والرجوع عن مذهب التعصب والانغلاق، لاسيما في ظل العولمة الكونية، حيث لا يُمكن لأحدٍ أن ينعم في ظل واقع يجهل مفرداته، أو يهنأ في خضم محيط ثائر لم يُعد العدة لمستجدات أمواجه. ولا يجب أن نغفل عن أن إعداد تلك العدة على وجهها الصحيح يقتضي ألا ننجر وراء تلك الدعوات المسمومة التي تُنادي بمتابعة الغرب حَذْوَ القُذَّةِ بالقُذَّةِ.، بل علينا أن ننتهج خطًا وسطًا يُوازن بين النهجين، في سياق الأخذ الموضوعي المُعتمد على خطة منهجية علمية مُحددة الخطوات والأفق الزمني.

وإذا كانت المشكلة تكمن دائمًا في عدم وجود نقطة بداية يمكن لنا الانطلاق منها، ففي هذا البحث المتواضع إشارة إلى كيفية بدء الخطوة الأولى على طريق استعادة الذات وإلغاء الهيمنة الغربية على النفوس والأفكار، في إطار زمني موقت بميقات محدد ومعلوم، يُعجِّل من انعتاقنا من قيد ذلك الغرب المستبد الظالم الغشوم.

وقد كُتب هذا البحث، وإحدى عيني الباحث على مبدأ العمومية الذي يرفض احتكار البحث لجهة بعينها لأن المعرفة حق للجميع، بينما ترنو عينه الأخرى في حنو بالغ إلى جامعته الأزهرية العظيمة التي هي في مسيس الحاجة إلى تبني مشروع وجودي تُستهنض به الهمم، ونتحلى فيه جميعًا بالمسؤولية في ظل هذا الظرف العقدي والتاريخي والثقافي البالغ الصعوبة، من خلال إعادة بث الروح العلمية في مناهجنا النقدية وتفكيرنا الموضوعي، وهي فرصة لعل الأوان قد آن لاغتنامها، لأن كل مسؤول مسؤول أمام الله ثم أمام التاريخ.

## المصادر والمراجع

**أولًا: القرآن الكريم.**

**ثانيًا: المراجع العامة:**


- ✓ آباء الحداثة العربية، مُحيي الدين اللاذقاني، دار مدارك للنشر، ط١، ٢٠٠٣م.
- ✓ الأثر الأرسطي في النقد والبلاغة العربيين إلى حدود القرن الثامن الهجري، عباس أرحيلة، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، المغرب، ١٩٩٩م.
- ✓ أزمة الحضارة العربية أم أزمة البرجوازات العربية؟، مهدي عامل، دار الفارابي، بيروت، ط٧، ٢٠٠٢م.
- ✓ أساسيات الحاسب الآلي والبرمجة، جميل أحمد، منصة الطباعة الرقمية: Lulu.com، الولايات المتحدة، ٢٠١٨م.
- ✓ أعلام الفكر العربي، سعيد جودة السحار، مكتبة مصر، القاهرة، (د.ت).
- ✓ ألبير كامو، أوليفر جلوج، تر: مؤمن محمود، مؤسسة هنداوي، القاهرة، ٢٠٢٢م.
- ✓ التراث المسروق، جورج جي، تر: شوقي جلال، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة. (د.ت)
- ✓ التراث والتجديد، حسن حنفي، المؤسسة الجامعية، بيروت، ط٤، ١٩٩٢م.
- ✓ التركيب اللغوي للأدب، لطفي عبد البديع، دار المريخ للنشر، الرياض، ١٩٨٩م.
- ✓ تعقيبات على الاستشراق، إدوارد سعيد، تر: صبحي حديدي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.
- ✓ الثابت والمتحول، أدونيس، دار الساقي، بيروت، ط٧، ١٩٩٤م.

- ✓ جان فرانسوا ليوتار، تر: أمين حمزاوي، موسوعة ستانفورد للفلسفة، الولايات المتحدة. (د.ت)
- ✓ الخوارزميات، بانوس لوريداس، تر: إبراهيم سند، مؤسسة هنداوي، القاهرة، ٢٠٢٢م.
- ✓ دريدا عربيًا، محمد البنكي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٥م.
- ✓ دليل النظرية النقدية المعاصرة (مناهج وتيارات)، بسَّام قطّوس، فضاءات للنشر، عمَّان، ٢٠١٦م.
- ✓ دور الحضارة العربية الإسلامية في النهضة الأوربية، هاني المبارك، شوقي أبو خليل، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٦م.
- ✓ دور العلماء المسلمين في تطوير العلوم، إبراهيم القباني، النشاطات الثقافية، السعودية. (د.ت)
- ✓ روائع الحضارة العربية والإسلامية في العلوم، علي الدفَّاع، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٨م.
- ✓ روح الحداثة، طه عبدالرحمن، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط١، ٢٠٠٦م.
- ✓ رولان بارت، جوناثان كولر، تر: سامح فرج، مؤسسة هنداوي، القاهرة، ٢٠١٦م.
- ✓ سياسيون حاربوا الإسلام، عبدالناصر أبو هارون، دار الرشيد، دمشق، ١٩٩٦م.
- ✓ شمس الله تُشرق على الغرب (فضل العرب على أوروبا)، زيغريد هونكه، تر: فاروق بيضون وكمال دسوقي، دار الجيل، بيروت، ط٨، ١٩٩٣م.
- ✓ صلاح الدين الأيوبي البطل الأنقى في الإسلام، ألبير شاندور، تر: سعيد أبو الحسن، دار طلاس، سوريا، ط٢، ١٩٩٣م.

- ✓ العِقد الفريد، ابن عبد ربه، تح: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٣م.
- ✓ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، عبدالمنعم ماجد، مكتبة الجامعة العربية، بيروت، ١٩٦٦م.
- ✓ الغائب (دراسة في مقامات الحريري)، عبدالفتاح كيليطو، دار توبقال، المغرب، ط٣، ٢٠٠٧م.
- ✓ الفهرست، ابن النديم، تح: أيمن فؤاد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، ٢٠٠٩م.
- ✓ في نظرية الاستعمار وما بعد الاستعمار الأدبية، آنيا لومبا، تر: محمد عتيق، دار الحوار، سوريا، ٢٠٠٧م.
- ✓ الكامل في التاريخ، ابن الأثير، دار صادر، بيروت، ١٩٨٠م.
- ✓ كتاب الجوهرتين العتيقتين المائعتين من الصفراء والبيضاء (الذهب والفضة)، الحسن بن أحمد الهمداني، تح: أحمد فؤاد، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٩م .
- ✓ ماهي النهضة؟، سلامة موسى، مؤسسة هنداوي، القاهرة، ٢٠١١م.
- ✓ معذبو الأرض، فرانز فانون، تر: سامي الدروبي، جمال الأتاسي، مدارات للأبحاث والنشر، القاهرة، ط٢، ٢٠١٥ م.
- ✓ مناهج النقد الأدبي الحديث (رؤية إسلامية)، وليد قصَّاب، دار الفكر، دمشق، ط٢، ٢٠٠٩م.
- ✓ مناهج النقد المعاصر، صلاح فضل، دار ميريت للنشر والمعلومات، ط١،القاهرة، ٢٠٠٢م.
- ✓ موسوعة أدباء العالم في القرن الـ٢١، محمود قاسم، (E-Kutub Ltd)، لندن، ط١، ٢٠١٨م.

- ✓ نُزهة المشتاق في اختراق الآفاق، الشريف الإدريسي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٢م.
- ✓ النظرية النِّسوية (مُقتطفات مُختارة)، ويندي كيه، فرانسيس بارتكوفيسكي، تر: عماد إبراهيم، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، ط١، ٢٠١٠م.
- ✓ النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك، إبراهيم محمود خليل، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمَّان، ط٤، ٢٠١١م.

**ثالثًا: المجلات والدوريات:**

- ✓ ابن ماجد وإسهاماته في جغرافية البحار، طه بن عثمان، مجلة دراسات جامعة الملك سعود، ع: ٦، مج٢، السعودية، ١٩٧٨م.
- ✓ أثر الإسلام في حركة الإصلاح البروتستانتينية، السيد الشاهد، كتاب مجلة البيان، ع:٢٢، المنتدى الإسلامي، ١٩٨٩م.
- ✓ إسهامات العلماء العرب والمسلمين في العلوم الجغرافية والبحار (النشأة والتطور)، عزه زايد مصطفى، مجلة بحوث الشرق الأوسط، ع: ٤٦، جامعة عين شمس، القاهرة. (د.ت)
- ✓ التراث مرآة الحضارات على مر العصور، رحاب محمد، مجلة المعرفة، ع:٥٩٠، مج: ٥١، وزارة الثقافة، ٢٠١٢م.
- ✓ التراث وإشكاليات القراءة، محمد علي الكبيسي، مجلة الفكر العربي المعاصر، ع: ٢٩، مج: ٥١، مركز الإنماء القومي، ١٩٨٤م.
- ✓ التراث والتجديد، أحمد الطيب، سلسلة كتب الثقافة الإسلامية رقم (١)، مشيخة الأزهر الشريف، القاهرة، ط٣، ٢٠١٩م.
- ✓ الحداثة والتجديد في التراث العربي، محمد الحوراني، مجلة التراث العربي، ع: ١٦٨، اتحاد الكُتَّاب العرب، ٢٠٢٣م.

- ✓ الحداثيون أثروا التراث العربي، حوار مع جابر عصفور، أجراه: مصطفى سليم، وأحمد الدعدر، مجلة فصول، ع: ١٠٧، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٢٢م.
- ✓ سؤال التراث في الفكر العربي المعاصر، عبدالإله بلقزيز، مجلة المستقبل العربي ع: ٤٠٨، مج: ٣٥، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠١٣م.
- ✓ الصراع على التراث، عبدالإله بلقزيز، سلسلة المعرفة للجميع، ع:٥٩٠، مج: ٥١، المغرب، ٢٠١٢م.
- ✓ العرب والمسلمون في ثقافة فرانشسكو بتراركا، أنور شاهين، مجلة فصول، ع: ١٠٧، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٢٢م.
- ✓ العلوم الجغرافية في التراث الإسلامي، أحمد فؤاد باشا، مجلة المنهل، عدد متخصص بالجغرافية، السعودية، ١٩٩٧م.
- ✓ اللحظة التونسية في فلسفة ميشيل فوكو، فتحي التريكي، أعمال الندوة الفلسفية الثانية عشرة، جامعة القاهرة، ٢٠٠٠م.
- ✓ اللُّصوصية في العصور الوسطى عصر الحروب الصليبية نموذجًا ٤٨٩ – ٦٩٠هـ/ ١٠٩٥ – ١٢٩١م، أشرف صالح، مجلة دراسات تاريخية، ع: ٦، مركز عدن للدراسات، ٢٠٢١م.
- ✓ لمحة عن الحركة الاستشراقية ووسائلها وأهدافها، عبير الثقفي، حولية كلية الدراسات الإسلامية للبنات بالإسكندرية، ع: ٣٥، جامعة الأزهر، ٢٠١٩م.
- ✓ ما بعد الكولونيالية فيما بعد الحداثة (قراءة في المختبر الجزائري)، أحمد عبدالحليم، مجلة الاستغراب، ع: ١٢، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، العراق، ٢٠١٨م.
- ✓ ما بعد الكولونيالية: مفهومها أعلامها أطروحاتها، مديحه عتيق، مجلة دراسات وأبحاث، ع: ١٨، جامعة الجلفة، الجزائر، ٢٠١٥م.

- ✓ المثقفون الفرنسيون والثورة الجزائرية: فرانسيس جانسون نموذجًا، مقلاتي عبدالله، مجلة المصادر، ع: ٢١ (السُداسي الأول)، المركز الوطني للدراسات والبحث، الجزائر، ٢٠١٠م.
- ✓ المرايا المُحدَّبة (من البنيوية إلى التفكيك)، عبدالعزيز حمودة، سلسلة عالم المعرفة (٢٣٢)، المجلس الوطني للثقافة، الكويت، ط١، ١٩٩٨م.
- ✓ المستقبل يدوم طويلًا (سيرة ذاتية)، لوي ألتوسير، تر: كاميليا صبحي، أوراق فلسفية، ع: ٣٢، كرسي اليونسكو للفلسفة فرع جامعة الزقازيق، ٢٠١٢م.
- ✓ مفاهيم نقدية، رينيه ويلك، تر: محمد عصفور، سلسلة عالم المعرفة، رقم (١١٠)، المجلس الوطني للثقافة، الكويت، ١٩٧٨م.
- ✓ مُقاربة أولية لمساهمة علاقات الاستعمار وما بعد الاستعمار في تشكيل فكر (ما بعد الحداثة) في فرنسا، أزواج عمر، قضايا فكرية، الكتاب التاسع عشر والعشرون، القاهرة، ١٩٩٩م.

**رابعًا: الرسائل العلمية:**

- ✓ النظام السياسي والسياسة الخارجية اليابانية المُعاصرة، وليم أشعيا، رسالة ماجستير، كلية القانون والسياسة، الأكاديمية العربية المفتوحة، الدنمارك، ٢٠٠٨م.

**خامسًا: المواقع الإلكترونية:**

- ✓ إحياء الذكرى ٦٤ لاغتيال صديق الثورة الجزائرية هنري مايو، موقع: المتحف الجهوي للمجاهد، الجزائر، رابط: www.museeto.dz. (د.ت)
- ✓ دانيال بن سعيد، أميرة فكري، موقع: البوابة نيوز، ٢٠٢٢م، رابط: www.albawabhnews
- ✓ رولان بارت من الدرجة الصفر إلى لذة النص، حسن بحراوي، موقع الموجة، رابط: http://elmawja.com. (د.ت)

- ✓ سارتر وقضية الالتزام، أبو الحسن سلَّام، موقع الحوار المُتمدِّن، ع: ٤٩٧٤، ٢٠١٥م، رابط: www.ahewar.org.
- ✓ غريماس: ترسانة السيميائية، سعيد بنكراد، موقع: بالعربية، ٢٠١٩م، رابط: bilarabiya.net.
- ✓ كيف انتصر المثقف التنويري على المثقف الأصولي في فرنسا؟، هاشم صالح، جريدة الشرق الأوسط، ٢٠٢٢ م، رابط: aawsat.com.
- ✓ مجلة الأزمنة الحديثة: الإنترنت يخنق روح (سارتر) للأبد، هايدي صبري، العين الإماراتية، ٢٠١٩م، رابط: https://al-ain.com.
- ✓ مجلة شِعر: الجماعة والمشروع، حاتم الصكر، مجلة مجانين قصيدة النثر، رابط: https://5eecce1a223aa.site123.me. (د.ت)
- ✓ مفاتِحُ الجَزْم في مُشكِلاتِ لَفظِ "خَوارَزْم"، صفاء البياتي، معهد المخطوطات العربية، السلسلة الرقمية الثقافية (٣٣)، رابط: www.malecso.org. (د.ت)
- ✓ منهج النقد الحداثي حقيقة أم أكذوبة؟، أحمد زايد، موقع: صيد الفوائد، رابط: saaid.org. (د.ت)
- ✓ الموسوعة الحرة (ويكيبيديا): https://ar.wikipedia.org/.
- ✓ النقاد العرب وتمثل النقد الحداثي، محمد عزام، موقع تربقافة (تربية وثقافة)، رابط: www.tarbikafa.com. (د.ت)
- ✓ هل النقد الأدبي الأوروبي عالميٌّ ومُلزِم للأمم (قراءات ودراسات)، عباس المناصرة، المجلة الثقافية الجزائرية، رابط: https://thakafamag.com. (د.ت)
- ✓ هل نحن بحاجة إلى نظرية نقدية عربية؟، فهد حسين، نشرة التقدمي، مملكة البحرين، ٢٠٢٢م، رابط: altaqadomibulletin.com.